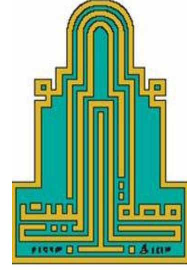
بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

العلماء ودورهم في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي

Scientists role in public life in Egypt During Fatimy Era

إعداد الطالب

بدر نهار الديحاني

الرقم الجامعي: ١٤٧٠٣٠٣٠٠٩

إشراف

الدكتور أنور الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

٢٠١٦/٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

صدق الله العظيم

سورة الزمر الآية: (١٨)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل، أو نهراً أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته، من بعد موته".

رواه ابن ماجه وصححه الألباني

وقال الإمام علي رضي الله عنه:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى

وسافر ففي الأسفار خمس فوائـــدِ

تفريج هم واكتساب معيشـــــــــة

وعلم وآداب وصحبة ماجـــــــــدِ

فإن قيل في الأسفار ذل ومحنـــــة

وقطع الفيافي وارتكاب الشدائـــدِ

فموت الفتى خير له من قيامـــــه

بدار هوان بين واش وحاســـــــدِ

التفويــض

أنا الطالب **بدر نهار الديحاني** أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

الاسم: **بدر نهار الديحاني**

التوقيع:

التاريخ: /   / ٢٠١٦م.

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالب: بدر نهار الديحاني **الرقم الجامعي: ١٤٧٠٣٠٣٠٠٩**

التخصص: التاريخ **كلية: الآداب والعلوم الإنسانية**

أقرُّ بأنني قد التزمتُ بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول، والمتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، حيث قمت شخصيًّا بإعداد رسالتي الموسومة بـ:

"العلماء ودورهم في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي"

بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والإطاريح العلمية، كما أنني أعلم بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم، فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك، بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيـع الطالب:...

التاريخ: / /٢٠١٦م.

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت

قرار لجنة المناقشة

العلماء ودورهم في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي

وأجيزت بتاريخ: / /

إعداد

بدر نهار الديحاني

إشراف

الدكتور أنور الخالدي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور أنور الخالدي	مشرفاً ورئيساً	....
الدكتور	عضواً	....
الدكتور	عضواً	....
الدكتور	عضواً خارجياً	....

الإهـــــداء

أهدي هذا الجهد المتواضع . . .

إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها من أوراق الصبر

وطرزتها في ظلام الدهر على سراج الأمل بلا فتور أو كلل

رسالة تعلم العطاء كيف يكون العطاء وتعلم الوفاء كيف يكون الوفاء

إليك أمي أهدي هذه الرسالة وشتان بين رسالة ورسالة

جزاك الله خيرا . . . وأمد عمرك بالصالحات فأنت زهرة الحياة ونورها

وإلى من كلل العرق جبينه . . . وشققت الأيام يديه

إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار

إلى والدي أطال الله بقاءه وألبسه ثوب الصحة والعافية ، ومتعني بره ورد جميله

أهدي ثمرة من ثمار غرسه

وإلى إخواني وأخواتي وأقاربي الذين كانو عونا لي في كل مشقة

وإلى زوجتي الغالية التي غمرتني بفيض العطاء فلها مني عظيم الثناء

وإلى من نورت بقدومها الدنيا أبنتي (الزين)

وإلى كل أصحابي وزملائي الذين كانوا خير من وقف بجانبي

وإلى كل من اهتم بالعلم وإلى كل باحث في التاريخ

وإلى بلدي الحبيب الكويت

وإلى أرض الخير المملكة الأردنية الهاشمية

إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع ،،،

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أن من الله علي بإتمام هذه الرسالة أتقدم بعد شكر الله عز وجل بالشكر والعرفان والامتنان إلى الدكتور/ أنور عودة الخالدي المشرف على هذه الرسالة، والذي كان له الفضل بعد الله في ظهورها بالمظهر العلمي اللائق، فقد استنرت برأيه، واسترشدت بلمه الغزير واستفدت من توجيهاته وملاحظاته النيرة فله مني جزيل الشكر والعرفان.

كما اشكر كل من أسهم معي برأي أو جهد، طيلة فترة اعداد الرسالة سائلا الله تعالى ان يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، إنه جواد كريم.

الباحث

قائمة المحتويات

قائمة الاختصارات

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش على النحو الآتي:

ترمز الحروف الآتية إلى ما يلي:

ت	الوفاة
هـ	الهجري
م	الميلادي
ق	القرن
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
ب. ط	بدون طبعة
ب. ت	بدون تاريخ نشر
ب. ن	بدون دار نشر
ع	العدد بالنسبة للدوريات
P.	رقم الصفحة بالإنجليزي
Vol	رقم الجزء بالإنجليزي

الملخــص

العلماء هم الفئة المثقفة في المجتمع الإسلامي، من قضاة وأئمة وفقهاء ومدرسين وحفظة قرآن ورواة حديث ومتصوفين وغيرهم من مختلف صنوف العلم، وقد اقترنت بهؤلاء العلماء ألقاب متعددة مثل (الشيخ) فهو في غالب الأحيان ملازم لهم، وهو لقب خاص بالعلماء والصلحاء ولقب به أهل العلم توقيراً لهم، ومن ألقابهم المُدِّرس وهو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو والتصرف وغير ذلك.

وفي الدولة الفاطمية وجد العلماء احتراماً كبيراً من السلطة الفاطمية ممثلة بالخلفاء والوزراء والأمراء، وكذلك من العامة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال النظر للعلماء بشكل انفرادي، فهم عماد المجتمع تسمع كلمتهم ويؤثرون في العامة أكثر مما تؤثر السلطة الحاكمة.

ومع أن العلماء منهم من حظي بمكانة مرموقة في الدولة الفاطمية إلا أن ذلك لا يعني أنهم اعتنقوا المذهب الشيعي الاسماعيلي، فالعلماء السنّة ظلوا سنّة والنصارى ظلوا على عقيدتهم، ومع ذلك قدّموا خدمات جليلة للدولة الفاطمية.

الكلمات المفتاحية: العلماء- الدولة الفاطمية- دار العلم- مصر.

المقدمة:

إن الدولة الفاطمية تعد نموذجاً واضحاً للدولة الدينية في التاريخ الإسلامي، قامت على أساس ادّعاء إيصال نسب أصحابها إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق ابنته فاطمة الزهراء، كما يغلب الغموض على تاريخ الحركة الاسماعيلية طوال المائة عام الأولى التي أعقبت وفاة الإمام جعفر الصادق، واعتمدت الحركة على نشاط مكثف للدعاة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يدعون إلى قرب ظهور الإمام المهدي من نسل فاطمة، وبفترة زمنية قصيرة حققت الحركة الإسماعيلية نجاحاً باهراً كان من ثماره الكيان السياسي المعروف بالدولة الفاطمية أو العبيدية.

لقد مرّت الدولة الفاطمية في مصر بفترتين متميزتين الأولى: تبدأ مع وصول القائد جوهر الصقلي وإتمام عملية حيازة مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م وتنتهي باندلاع الحرب الأهلية في منتصف القرن الخامس عشر الهجري/ الحادي عشر الميلادي في زمن الخليفة المستنصر بالله، والثانية فترة الحكم المطلق للوزراء العسكريين التي تبدأ بوزارة أمير الجيوش بدر الجمالي وتنتهي بوصول صلاح الدين الأيوبي إلى قمة السلطة في مصر سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وسقوط الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وقد تميّزت الفترة الأولى بأن الخلفاء قبضوا بأيديهم على السلطة السياسية في الدولة، أما الفترة الثانية فقد استبدّ فيها الحكّام العسكريون بالحكم الذين اغتصبوا السلطة السياسية.

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على العلماء ودورهم في جميع مناحي الحياة في الدولة الفاطمية، فقد ظلّ العالم طوال الفترة الإسلامية، المرجعية التي تعتمد عليها السلطة ويثق بها أفراد المجتمع، وكان للعالم صورة مثالية وتقدير يتجاوز في كثير من الأحيان منزلة الحاكم، مع الإشارة إلى أن العلماء لم يكونوا طبقة مستقلة لوحدها بل كانوا مندمجين مع كل فئات المجتمع فمنهم من وصل لمناصب عليا في الدولة، ومنهم من لم يجد قوت يومه، وإن لفظة علماء لم تقتصر في معناها على فئة محددة، بل أطلقت على فئات كثيرة، منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والمتكلم والنحوي وغيره.

لقد كانت القراءة عن الدولة الفاطمية منذ صغري، وفي رحلة البحث عن عنوان وجدت أن أغلب المواضيع قد درست في هذه الدولة إلا هناك العديد من كتب عن العلماء عندما كتبوا عن الدولة الفاطمية، ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتتعمق في دراسة أهم مكوّن من مكوّنات المجتمع

الفاطمي، إن زمان الدراسة هو العصر الفاطمي ومكانها هو مصر في الفترة (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م).

إن منهج البحث في هذه الأطروحة سيكون منهجاً تكاملياً يأخذ من محاسن المناهج جميعها وخصوصاً المنهج التاريخي لتأصيل قضايا البحث، والمنهج الوصفي في عرض آراء المؤرخين والكتاب، والمنهج التحليلي في دراسة أسباب الظواهر التاريخية واستخلاص النتائج.

أما بالنسبة للدراسات السابقة التي سبقت هذه الدراسة فإنني لم أجد كتاباً أو دراسة متخصصة للعلماء في الدولة الفاطمية، إلا كتاب المستشرق (هاينز هالم) الموسوم بالفاطميين وتقاليدهم في التعليم (تعريب سيف الدين القصير، مراجعة مجيد الراضي، دار الثقافة، سوريا ١٩٩٩م) وهو كتاب يتحدث بشكل عام عن تقاليد التعليم في مصر زمن الفاطميين.

أما بالنسبة للخطة التي اعتمدتها الدراسة فقد تمثلت بتقسيم الدراسة إلى أربعة فصول: الفصل الأول كان بعنوان: (الدور السياسي للعلماء خلال العصر الفاطمي) فقد كان للعلماء إبان عصر الدولة الفاطمية في مصر دور عظيم في الحياة العامة بصفة عامة والحياة السياسية بصفة خاصة بمشاركاتهم الفعالة في التنوير، وإنصاف المظلوم وإبداء النصح للحاكم ومحاولة ترسيخ المبادئ الفقهية الإسلامية الوسطية، وإعطاء نماذج وأمثلة على هذا الدور.

أما الفصل الثاني كان بعنوان: (الدور الاقتصادي للعلماء خلال العصر الفاطمي) وفي هذا الفصل بداية صورة عن الأوضاع الاقتصادية في مصر وأهم الأنشطة مثل الزراعة والتجارة والصناعة، وأود أن أشير إلى أنني واجهت صعوبة بالغة في تتبع هذا الدور فكانت الأمثلة قليلة.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: (العلماء والمجتمع خلال العصر الفاطمي) فالمظاهر الاجتماعية هي المناسبات الدينية والأعياد والاحتفالات، وأهم سمة في هذه الاحتفالات أن الجميع يشارك فيها وتتسم أيضاً بالبذخ والاسراف في كثير من الأحيان، وفي هذا الفصل لعلماء (أطباء) من أهل الذمة والدور الصحي الذي قاموا به، والقضاة وهم العلماء الذين كانوا الأكثر احتكاكاً بالمجتمع.

وأخيراً جاء الفصل الرابع بعنوان: (دور العلماء في الحياة الفكرية) وبحث هذا الفصل عن العلماء الذين تميزوا أنتجوا في العلوم النظرية والتطبيقية، وتم إيراد الأبرز من هؤلاء العلماء إذ لا يمكن ذكر كل العلماء لأن المجال لا يتسع، ولدار العلم التي أصبحت منشأةً علمية تُقرن بالفاطميين فقد أوقف عليها الخلفاء بسخاء منقطع النظير وحاولوا جذب العلماء إليها.

أما الخاتمة فقد أوجز فيها النتائج التي توصلت إليها الدراسة، كما احتوت الدراسة على قائمة بالمصادر المطبوعة، والمراجع والبحوث العربية والأجنبية التي أسهمت في مجموعها في بناء هيكل البحث وما توصل إليه من نتائج.

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة مختلفة من المصادر التي تشكل مادتها ركناً أساسياً في هذه الدراسة، وسيكون التركيز هنا على قيمة كل مصدر من المصادر بمقدار ما يوضح دور المعتزلة في فترة ظهورهم والتركيز على فترة الخليفة العباسي المأمون.

١. كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين لأبي محمد عبد السلام الفهري (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) المعروف بابن الطوير الذي تقلب في الخدمة في الدوامين الفاطمية ثمّ الأيوبية، وتولى ديوان الرّتب قرب نهاية العصر الفاطمي، وكتب ابن الطوير كتابه على الأرجح في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقصد عمل ما يشبه الموازنة بين نظام الدولة الفاطمية الذي خبره جيداً ونظام الدولة الصلاحية، وهذا ما يفسّر عنوان الكتاب، لكن النظم المذكورة في الكتاب هي فقط نظم الفاطميين، أما نظم الأيوبيين فغير مذكورة، وقسّم ابن الطوير كتابه إلى فصول لا يُعرف عددها على وجه الدقة، وقد ذكر لنا أسماء فصلين، الخامس عن ركوب الفاطميين في المواكب العظام، والعاشر عن ذكر هيئتهم في الجلوس العام بمجلس المُلكْ، وقد أفادني هذا الكتاب في معظم فصول هذه الأطروحة.

٢. كتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء لأحمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) وهو كتاب يؤرخ للدولة الفاطمية في مصر والمغرب، بدأه بذكر أنساب أولاد الإمام علي، وكان من المؤرخين القلائل الذين تعصبوا للفاطميين، فمثلاً ردّ على أقوال الطاعنين في نسب الفاطمية كابن رزّام وابن النديم، وهو أشمل كتاب تاريخ الدولة الفاطمية منذ قيامها في إفريقيا وحتى سقوطها في مصر، اعتمد فيه المقريزي على جميع المصادر الخاصة بتاريخ هذه الدولة التي وصلت إلى علمه ووجدت منها نسخ في وقته، وبأي حال من الأحوال لا يمكن التغاضي عن هذا المصدر في أي دراسة تتحدث عن الفاطميين.

٣. كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي أيضاً، وهو بإجماع آراء الباحثين أهم كتاب في تاريخ مصر وجغرافيتها وطبوغرافية عاصمتها في العصر الإسلامي، وعرّف فيه المقريزي تعريفاً مفصّلاً بكل ما يتصل بمسقط رأسه القاهرة،

بحيث لم يترك أثراً أو مؤسسة إلا وصفها بدقة متناهية مع الإشارة إلى الحوادث الهامة التي اقترنت به وحياة الأمراء والكبراء الذين باشروا بناءه، ويحتل تاريخ مصر في عصر الفاطميين والمنشآت الدينية والحربية والمدنية التي أنشئت فيه نحو نصف كتاب، اعتمد فيه المقريزي على مصادر لم تصل إلينا فحفظ لنا بذلك نقولاً ذات شأن للمؤلفين القدماء الذين فقدت مؤلفاتهم في وقتنا الحالي، وكان هذا الكتاب مصدراً لهذه الأطروحة عن كل شيء يتعلق بمصر ومجتمعها.

٤. كتاب سفر نامة لأبي معين الدين ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) أقدم ما وصلنا من الرحلات الشرقية المدونة، وأشهر الرحلات الفارسية، وكان الدافع للقيام بها ما يعتصر قلب خسرو من الحيرة الدينية، التي تتجلى في معظم مؤلفاته ودواوينه، ويُروى أنه قام بها تلبية لدعوة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، الذي مجده في ديوانه، ونعته بجوهرة التاج ومفخرة الإنس والجن، وبسبب مدائحه للمستنصر جعله أحد الحجج الاثني عشر، ونصّبه حجة على إقليم خراسان، حيث أسس في بلدة (يُمكان) مذهباً خاصاً به، نثر أسسه في كتابه (وجه دين) وأصبح به صاحب فرقة، يدعو إليها ويضطر إلى الاختفاء في الجبال لأجلها، وقد اعتمدنا على كتابه سفر نامه كمصدر حي أعطانا صورة عن المجتمع ومعيشته في الفترة الفاطمية.

٥. كتاب القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) وهو كتاب على صغر حجمه مصدر من الدرجة الأولى للتعرف على الشروط التي يجب توفرها في موظفي ديوان الإنشاء، وشرح نظامه الداخلي، وقد أفدت من هذا الكتاب في الفصل الأول.

٦. كتاب رفع الإصر عن قضاة مصر لأبي الفضل أحمد بن علي حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤١م) اعتمد فيه المؤلف على أخبار القضاة لأبي عُمر الكِنْدي ثم على ذيله لصاحبه أبي محمد ابن زولاق، ثم على كتاب ابن مُيسِّر، ثم على أخبار مصر للحافظ قُطب الدِّين الحلبي، وهذا الكتاب مصدر رئيس عن قضاة مصر وأبرز أخبارهم.

٧. كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) أضخم موسوعة وصلتنا في أدب الإنشاء ومراسلات الملوك، تقع في زهاء سبعة آلاف صفحة، في (١٤) مجلداً، وقد أودع فيه القلقشندي أهم وثائق ديوان الإنشاء بمصر، والذي تولى رئاسته حقبة من مطلع القرن (٩هـ/١٥م)، وقسمه إلى عشرة مقالات، سوى المقدمة والخاتمة، وجعل المقالة الأولى في الكتابة

وتاريخ ديوان الإنشاء، والثانية في الجغرافيا بمختلف فروعها، والثالثة في ذكر الكنى والألقاب ومقادير قطع الورق وما يناسبها من الأقلام، والبياض الذي يراعيه الكاتب، والرابعة: وهي أهم مقالات الكتاب وأضخمها، إذ تضم مصطلحات المكاتبات الدائرة بين ملوك الشرق والغرب، منذ بداية الإسلام، مع فهرس معجمي لألقاب الملوك وأرباب المناصب. وأودع فيها نوادر الرسائل، وفي الخامسة عرض للبيعات والعهود والكثير من النصوص والفرمانات الرسمية، وفي السادسة اعتنى بالوصايا الدينية، وتصاريح الخدمة السلطانية، وفي السابعة عن الإقطاعات وأحكامها ونماذج منها، وفي الثامنة عن الأيمان وأنواعها، ويمين كل ملة وطائفة، وفي التاسعة عن عهود الأمان، وكيف تعقد لأهل مختلف الملل، والهدن وأنواعها وصيغها، وفي العاشرة في فنون الكتابة التي لا علاقة لها بالإنشاء، كالمقامات والرسائل والهزليات، وتكلم في الخاتمة عن أمور لها علاقة بالإنشاء كالبريد وتاريخه، والحمام الزاجل ومطاراته، والثلج وطرق نقله، وقد أفادت الدراسة منه في الفصل الأول.

٨. كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (٨٧٤هـ/١٤٧٠م) كتاب كبير جمّ الفائدة في تاريخ مصر مرتب على السنين وهو من أهم كتب ابن تغري، ابتدأ فيه مؤلفه بفتح عمرو بن العاص من سنة ٢٠هـ/٦٤٠م إلى أثناء سنة ٨٧٢هـ/١٣٦٧م، وقد ذكر فيه من ولي مصر من الملوك والسلاطين والنوّاب ذكراً وافياً مع ذكر ملوك الأطراف بطريق إجمالي، آتياً في كل سنيه على ما وقع من الحوادث المهمة، ومن توفي من رجالات الأمة الإسلامية، وقد انفرد بعد أبي بكر بن عبد الله بن أيبك مؤرّخ مصر بإشارته في آخر كل سنة إلى زيادة النيل ونقصانه، وقد نقل المصنف في كتابه مراراً عن المقريزي، وكتاب النجوم الزاهرة مصدر أساسي عن مصر في كل العصور، ولا شك بأني قد أفدت منه إفادة كبيرة.

٩. كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وهو من كتب التراجم المهمة وأفرد فيه صاحبه حيزاً كبيراً للأعلام في الدولة الفاطمية، وتعد تلك التراجم من أوسع التراجم وأكثرها فائدة بين الكتب التي ترجمت لهؤلاء.

١٠. كتاب سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م) وهو كتاب كبير من عدة مجلدات تناول فيه المؤلف الكثير من الشخصيات وقد ضمنه روايات لم يودعها التاريخ، وتوسع في بعض تراجمه، وقد أفدت من هذا الكتاب في الترجمة للعديد من علماء الدولة الفاطمية.

١١. معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ويعتبر كتاب معجم البلدان كتاب جغرافي تعرض فيه المؤلف لبيان الأقاليم الجغرافية وما تحتوي عليه من مدن، وقد أفادت الدراسة منه في التعريف بالمدن وتحديد مواقعها.

١٢. كتب المعاجم اللغوية مثل كتاب لسان العرب لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م) وكتاب القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب للفيروز آبادي (ت٨١٧هـ/١٤١٤م) وكتاب تاج العروس لمحمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) وكتاب المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون وهو من الكتب الحديثة.

تمهيد:

يُعد العلم دائماً حجر الزاوية الأساسي للتقدّم والتطوّر والتنوير في المجتمع الإسلامي والمجتمعات بصفة عامة، والعلماء هم أهم الوسائل لمراجعة مسيرة الأمم وتقويم الاعوجاج الحادث فيها، فهم المرآة التي يرتكز عليها المجتمع للنهوض بالأمة، ولذلك فإن الأمم التي تبتغي التقدم والتطور هي التي تحافظ على هؤلاء العلماء وتنوط بهم الأداء الفعال في الحياة العامة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو شرعية ودينية.

وقد اتسم المجتمع الاسلامي بالتطور مع تطور الدولة الاسلامية، فكلما اتسعت حدود الدولة الإسلامية شهد المجتمع الإسلامي تطورات عديدة في شتى الميادين، ولقد امتدت حدود الدولة الإسلامية في العصر الأموي والعباسي من المحيط الهندي شرقاً حتى المحيط الاطلسي غرباً، وقد احتوت الدولة الاسلامية على شعوب وقوميات وديانات متعددة ومتباينة فهكذا انقسم المجتمع الاسلامي إلى عدة فئات وأعراق ومذاهب حتى وصلت الدولة الإسلامية إلى العهد الفاطمي والذي ينتسب إلى المذهب الشيعي.

أصل الإسماعيلية:

يبدأ تاريخ الاسماعيلية كحركة مستقلة عندما نشأ الجدل حول خلافة الإمام جعفر الصادق (ت١٤٨هـ/٧٦٥م) الذي عين ابنه اسماعيل خليفة له بطريق النص، ولكن الأخير توفي قبل أبيه نحو سنة (١٤٥هـ/٧٦١م) وقد ذهب الشيعة الاثنا عشرية إلى أن موسى الكاظم الابن الثاني لجعفر الصادق هو الإمام في سلسلة الأئمة الاثنا عشرية[١]، وقد أمسك موسى الكاظم مثل والده عن أي نشاط سياسي فقد كان أحد العلويين الذين رفضوا مساندة الحسين بن علي صاحب فخ الذي ثار في الحجاز خلال فترة الهادي القصيرة (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٦-٧٨٧م) وقتل في فخ قرب مكة مع عدد آخر من العلويين سنة (١٦٩هـ/٧٨٦م) [٢] وعاش موسى الكاظم بعد ذلك حتى توفي مسموماً في بغداد سنة (١٨٣هـ/٧٩٩م) بناءً على أوامر الخليفة هارون الرشيد.[٣]

---

(١) أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ج١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠م، ص٥٩.

(٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) **الوافي بالوفيات**، ج١٢، تحقيق أحمد الارناؤوط،، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٨٢.

(٣) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان** ، ج١٢، ط٢، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ص٤١٧.

إن الإمامة كانت شعار الدولة الفاطمية ودعامة رياستها الدينية والزمنية، وقد حاولت الدولة أن تدعم هذا الشعار بكل ما لديها من قوة بالوسائل الروحية والمذهبية، ولم تدخر وسعاً في أن تستمد أسانيدها من القرآن ذاته ومن الأحاديث النبوية لتسبغ على الإمامة جواً من القداسة والإيمان، ويقدم إلينا القاضي النعمان (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) في كتابه دعائم الإسلام، حديثاً طويلاً عن ولاية الأئمة ومنزلتهم ووصاياهم كما يورد طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي يستند إليها في تأييد مسألة الولاية أو الإمامة وكونها خاصة بعلي بن ابي طالب وأبنائه من آل البيت[١]، ويذكر القاضي النعمان بعد ذلك أن الإمامة قد استقرت بتوقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على إمامة علي ونصبه إياه، وهذا ما فعله بغدير خم وكذلك فعل علي بالحسن، والحسن بالحسين، والحسين بعلي ابنه وعلي بابنه محمد، ومحمد بعلي بن جعفر، وكذلك من بعدهم الأئمة، ثم يصف الأئمة بأنهم (خلق من خلق الله، وعباد مصطفون من عباده، افترض طاعة كل إمام منهم على أهل عصره، وأوجب عليهم التسليم لأمره، وقرن طاعتهم في كتابه بطاعته، وطاعة رسول الله، وهم حجج الله على خلقه وخلفائه على أرضه) [٢].

ثم بعد ذلك يورد القاضي النعمان نصاً منسوباً إلى علي حيث يقول: (أنا وصي الأوصياء وأنا من حزب الله ورسوله) ثم يذكر قولاً لجعفر الصادق: (بنا يعبد الله، وبنا يطاع الله، وبنا يعصى الله، فمن أطاعنا أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله، سبقت طاعتنا عزيمة من الله إلى خلقه، أنه لا يقبل عمل من أحد إلا بنا، ولا يرحم أحداً إلا بنا، ولا يعذب أحداً إلا بنا، فنحن باب الله وحجته، وأولياؤه على خلقه وحفظة سره، ومستودع علمه، ولكن لنا من ربنا منزلة لم ينزلها أحد غيرنا ولا تصلح إلا لنا، ونحن نور الله وشيعتنا منه، وسائر من خالفنا من الخلق فهو في النار)، ويتصدى القاضي النعمان بعد ذلك للرد على الخوارج والمعتزلة في ما ذهبوا إليه من قولهم إن النبي لم يقدم أحداً للولاية من بعده، ولكنه أمر الناس أن يختاروا من بعده رجلاً يولونه، وأنه لا بد من إمام يقيم الحدود، فيقول:(إذا كان الناس هم الذين يقدمون الإمام، فالإمام مأمور عن أمرهم ولم يكن يملك شيئاً حتى ملكوه إياه، فهم الأئمة على ظاهر هذا المعنى، وهو عامل من عمالهم، ولهم إذا عزله كما قالت المرجئة، وأن ذلك قول ظاهر الفساد) [٣].

---

(١) ابن حيون، النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام**، ج١، القاهرة، ١٩٥١م، ص١٩-٢٠-٢١.

(٢) ابن حيون، دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام، ج١، ص٢٤-٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٥٣، ص٦٣.

وفي كتابه الآخر الهمة في آداب اتباع الأئمة يحدثنا القاضي النعمان عن فضل الأئمة والدعوة إلى طاعتهم واعتبارهم فوق الملوك، وأن الأئمة هم من آل البيت وأن طاعتهم من طاعة النبوة، وأنه يجب أن يقطع العهد لهم، والجهاد معهم في سبيل الله، ووجوب التسليم لهم في جميع الأمور، ووجوب الخوف منهم وموالاتهم ومعاداة أعدائهم، ثم يتحدث عن تعظيم الأئمة وأن السجود لهم ليس بمنكر، وطريقة السلام عليهم، وتشريف الرعية بالجلوس في حضرتهم، وطريقة الكلام معهم، وتلقي أحاديثهم والسير في مواكبهم، والجلوس إلى مآدبهم، ثم يعقب بكلام عن وجوب التسليم بطاعة الإمام، والتسليم لأمره والكف عن مخالفته وانتقاده، والتعقيب على أفعاله، وبما ينبغي على كل من عهد إليه بعمل من قبل الأئمة أن يسر بالعدل في الرعية، ويختم بفصل في آداب الدعاة وطرائق بث الدعوة[(١)].

وقد كان الخلفاء الفاطميون يوسمون في الدعاء على المنابر بما يقرب من النبوة، مثال ذلك ما دعي به للمعز لدين الله في أول جمعة رسمية أقيمت سنة (٣٦٨هـ/٩٧٩م) عقب الفتح الفاطمي في الجامع العتيق (جامع عمرو) ونصه: (اللهم صل على عبدك ووليك، ثمرة النبوة، وسليل العترة الهادية المهدية، عبد الله الإمام معد أبي تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين) [(٢)].

وفي بعض المصادر الاسماعيلية نجد أن الإمامة تقترن بمرتبة النبوة، وتنسب للإمام كما نسبت للنبي معجزات وأعمال خارقة لا يأتيها البشر، فمن ذلك ما رواه الداعي عماد الدين ادريس في كتابه زهر المعاني في حديثه عن اسماعيل بن جعفر الصادق من أنه توفي ودفن ثم ظهر حياً بالبصرة فيقول:(وأقبل إليه الناس يهرعون وهم يقولون هذا اسماعيل بن جعفر عاد حياً وأنه مسح بيده المباركة على ظهر شيخ مريض فبرء من علته وشاهد الخلق ذلك، وغاب عنهم... فكان ما أظهره اسماعيل عليه أتم الصلوات من الغيبة والظهور بعد ذلك، كما فعل جده الناطق المرسل محمد صلوات الله عليه، فأظهر الإمام اسماعيل ما أظهره إعجازاً للخلائق بظهور القدرة من الله تعالى، وبقاء الكلمة في عقبه الطاهرين من بيته)، ثم يصف المهدي بأنه ولي الأمر صاحب المعجزات ومبين الآيات المهدي بالله صلوات الله عليه، الذي طلع من الغرب، وقام قيام النبي

---

(١) ابن حيون، النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) **الهمة في آداب اتباع الأئمة**، بعناية محمد كامل حسين، مطبعة الاعتماد، القاهرة د.ت، ص٣٥-٤٠.

(٢) المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م) **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ط١، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص١١٤.

صلى الله عليه وسلم مهلكاً لمن ناصبه الحرب، وذهب الزبد جفاءً وأشرقت الأرض بنور ربها إنارة وضياء... وهذه العلامات والإشارات ظهرت سفره في ولاة الأمر يتوارثها منهم خلف عن سلف بظهور المعجزات، وكشف العلوم البينات وإخراج المتبعين من النور إلى الظلمات) [١].

ضم مصر:

في السنوات الأولى لحكم الخليفة المهدي باءت محاولتان لفتح مصر بالفشل وهما سنتي (٣٠١هـ/٩١٣م) و(٣٠٧هـ/٩١٩م) وتكررت المحاولتان في زمن ابنه القائم بأمر الله سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) ولكن دون نتيجة تذكر[٢]، وكان فشل كل محاولة يقومون بها تزيدهم إصرارا على تكرارها ومعاودتها مرة بعد مرة، ونبهت هذه المحاولات الخلافة العباسية إلى ضرورة درء هذا الخطر، فدعمت وجودها العسكري في مصر[٣]، بل إنها نبهت الخلافة العباسية إلى أن استمرار هذه المحاولات يتطلب وجوداً عسكرياً مكثفاً في مصر، هذا بالإضافة إلى ما اكتشفه القائد مؤنس الخادم الذي صد هجوم الفاطميين على مصر وهو كثرة العملاء الفاطميين داخل مصر[٤]، فأسند العباسيون إلى محمد بن طغج الإخشيد ولاية مصر بالإضافة إلى ولاية الشام، ولم يكن تعيينه في الواقع سوى عودة إلى النظام الطولوني الذي انتهى سنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م) [٥].

إن كثرة الثورات البربرية وكثرة حركات الخوارج والتي كان أهمها ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار والتي أيدها أهل السنة وأمضى الخليفة المنصور بالله اسماعيل فترة خلافته في إخمادها هي التي دفعت الخليفة المعز لدين الله إلى أن يجعل نصب فتح مصر

---

(١) زهر المعاني.

(٢) ابن عذارى، محمد بن أحمد المراكشي (ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط٣، ج١، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٧٠-١٧٢- ١٨١-١٨٢.

(٣) الصنهاجي، محمد بن علي بن حماد (٦٢٨هـ/١٢٣١م) **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص٤٤-٤٥.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص١٧٢.

(٥) المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٤٦.

والانتقال إليها[^١]، وللتدليل على هذه النية فقد وجدت (ثلاثة دنانير فاطمية) تحمل مكان الضرب مصر مؤرخة في السنوات التالية (٣٤١هـ/٩٥٢م) و(٣٤٣هـ/٩٥٤م) و(٣٥٣هـ/٩٦٤م) وكما هو واضح من هذه التواريخ أنها سكت قبل دخول الفاطميين لمصر وتأسيسهم للقاهرة[^٢]، ويؤكد لنا ابن تغري بردي سوء الأحوال الداخلية في مصر إبان هذه الفترة فيقول: (وقع بمصر الغلاء واضطربت أمور الديار المصرية والإسكندرية بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وتزايد الغلاء وعز وجود القمح) [^٣].

وقد استمال هؤلاء الدعاة نفراً من القواد ووجوه الرعية، وأنفذ إليهم المعز بنوداً ففرقوها لمن استجاب لهم وأمروهم أن ينشروها إذا قاربت عساكره مصر[^٤].

ولكن يجب أن نتطرق لحالة مصر الداخلية قبل الحديث عن دخول الفاطميين، فقد كانت السلطة في تلك الفترة في يد كافور العبد الأسود الخصي[^٥] الذي أصبح قائد جيوش الإخشيديين ومدبر مملكتهم[^٦]، وقد نجح دعاة الفاطميين في ضم العديد من الأتباع واستمالة أعداد كبيرة من الناس، فكان يوم عاشوراء لا يخلو من الفتن، وزادت المنازعات بين الجند السودان وجماعات من الرعية كان الجنود يتعصبون فيها على الشيعة، وبشر هؤلاء الدعاة أتباعهم بقرب قدوم جيوش الفاطميين حين يسقط كافور عن الحكم[^٧]، كما أن ضعف الخلافة العباسية ووقوعها تحت سيطرة البويهيين كان عاملاً مساعداً، بالإضافة إلى حالة مصر الاقتصادية السيئة التي كانت تمر بها أواخر حكم الاخشيديين[^٨]، ويبدو أن وفاة كافور الإخشيدي سنة (٣٥٧هـ/٩٦٨م) كانت بمثابة آخر

---

[^١]: الصنهاجي، محمد بن علي بن حماد (٦٢٨هـ/١٢٣١م) **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص٥٣-٧٧. المقريزي، **اتعاظ الحنفاء في أخبار الفاطميين الخلفاء**، ج١، ص٧٥-٨٨.

[^٢]: العش، محمد أبو الفرج، **النقود العربية الاسلامية**، (أبحاث الندوة الدولية للألفية القاهرة، مصر، ١٩٦٨م، ص٩١١-٩١٢- ٩٤٧-٩٤٨.

[^٣]: ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، ط٢، ج٣، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠٠٥م، ص٣٢٦.

[^٤]: المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م) المقفى الكبير،

[^٥]: كافور بن عبد الله الإخشيدي، كان عبداً حبشياً اشتراه الإخشيدي ملك مصر، وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة (٣٥٥هـ/٩٦٦م) وكان فطناً ذكياً حسن السياسة، كانت مدة إمارته على مصر اثنتان وعشرون سنة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ج٤، ص١-١٠.

[^٦]: كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عهد الإخشيديين، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٣٤-١٥٨.

[^٧]: المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج١، ص١٤٥-١٤٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧٠-٧٢.

[^٨]: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧٠-٧٢.

آخر عقبة تسقط أمام تقدم الفاطميين لمصر[1]، وحين تولى زمام الأمور أبو الفضل جعفر بن الفرات (ت٣٩١هـ/١٠٠١م) [2] ولم تسلس له قيادة مصر، وعجز عن مكافحة الغلاء الذي سببه نقص ماء النيل، واضطربت الأحوال، ويقال أن مصر فقدت في هذه السنه (٣٥٨هـ/٩٦٩م) زهاء ستمائة ألف، وكان ذلك بلا ريب عاملاً في إضعاف قوتها الدفاعية، إضافة إلى ما كانت تعانيه مصر يومها من ضروب الفساد والانحلال الاجتماعي، فقد وردت رواية عند المقريزي إن صحت ففي دلالة أكيدة على الفساد والانحلال الاجتماعي، وفحواها أن زوجة الخليف المعز وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر، فعرضها وكيلها في مصر للبيع، وطلب فيها ألف دينار، فحضر إليه في بعض الأيام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية، فساومته ففيها، وابتاعتها منه بستمائة دينار، فإذا هي ابنة الإخشيد محمد بن طغج، وقد بلغها خبر هذه الصبية.

فلما رأتها شغفتها حبا، فاشترتها لتستمتع بها، فعاد الوكيل إلى المغرب، وحدّث المعز بذلك، فأحضر الشيوخ، وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الإخشيد مع الصبية إلى آخره، فقال المعز: يا إخواننا انهضوا إلى مصر، فلن يحول بينكم وبينها شيء، فإنّ القوم قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها، وتشتري جارية لتتمتع بها، وما هذا إلّا من ضعف نفوس رجالهم، وذهاب غيرتهم، فانهضوا لمسيرنا إليهم[3]، مما دفع بجماعة من المصريين المصريين أن يكتبوا للمعز أن يدفع إليهم جنوده ليسلموا إليه مصر، فلعلهم كانوا يتوسمون في هذه الخلافة خيراً بعدما ساءت أحوال الخلافة العباسية[4].

لقد حاول الوزير ابن الفرات تدارك الأمر وإصلاح الفساد، فلم يستطع ذلك بل إن الإخشيدية والكافورية قاموا بمحاصرته في داره وتهديد حياته، وذلك بعد أن قبض على جماعة منهم

---

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) **وفيات الأعيان**، ج٤، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ص٩٩.

(٢) المعروف بابن حنزابة، لما توفي كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن علي بن الإخشيد بالديار المصرية والشامية، وكان عالماً محباً للعلماء، ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان، ج١، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٤٦-٣٤٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، ج١، ط١، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص٤٨٥.

(٣) المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٨٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣٠.

وصادرهم كان منهم يعقوب بن كلس اليهودي[1] الذي فرَ إلى افريقية حيث التقى بالخليفة المعز وأطلعه على ما تمر به مصر من أزمات سياسية واقتصادية، فوجد المعز الفرصة مناسبة لإرسال جيشه لفتح مصر[2].

ولما اعتزم المعز أن يحقق حلمه وحلم أسرته في فتح مصر، استعد لذلك وحشد كل ما استطاع عليه من جند وذخيرة ومال وأوكل قيادة تلك الحملة إلى القائد جوهر الصقلي[3]، وكان المعز يعرف من طلائعه وعيونه مبلغ ما انتهت إليه من تفكك وضعف عقب وفاة كافور، لذا فإنه لم يدخر جهداً في الرجال أو المال، وهذه رواية يوردها المقريزي تبين مدى استعداد المعز فقد استدعى أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال، وهو في وسط القصر قد جلس على صندوق، وبين يديه ألوف صناديق مبدّدة، فقال له: هذه صناديق مال، وقد شذ عني ترتيبها فانظرها ورتبها قال: فأخذت أجمعها إلى أن صارت مرتبة، وبين يديه جماعة من خدّام بيت المال، والفرّاشين، فأنفذت إليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها، وأن يغلق عليها، وتختم بخاتمه، وقال: قد خرجت عن خاتمنا وصارت إليك، فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار، وذلك في سنة (٣٥٧هـ/٩٦٨م) [4]، ويقال أن الحملة على مصر بلغت نيفاً ومائة ألف فارس[5]، ويبدو أن الشاعر ابن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢هـ/٩٧٣م) قد أثار إعجابه ذلك الجيش فقال فيه شعراً:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع   وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الأفق سد بمثله   فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

---

(١) يعقوب بن يوسف بن ابراهيم اتصل بكافور الإخشيدي، فولاه ديوانه بالشام ومصر، ووثق به فكان يشاوره في أكثر أموره، وكان يهودياً، فأسلم في أيامه سنة (٣٥٦هـ/٩٦٧م)، تولى الوزارة في المغرب وفي مصر (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٥٨.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٨. **الصفدي، الوافي بالوفيات،** ج٢٨، ص٨٧. كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٣) جوهر بن عبد الله الرومي، باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر كان من موالي المعز العبيدي وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م) وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها. ومكث بها حاكما مطلقا إلى أن قدم مولاه المعز سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) فحلّ المعز محله، وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي، بالقاهرة سنة (٣٨١هـ/٩٩٢م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٥.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص١٨٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٤.

فلـــم أدر إذ ســـلمت كيـــف أشـــيع ولـــم أدر إذ شـــيعت كيـــف أودع
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة وإنـــي بمـــن قـــد قـــاده الـــدهر مولـــع
ألا إن هـــذا حشـــد مـــن لـــم يـــذق لـــه غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
نصـــيحته للملـــك ســـدت مـــذاهبي وما بين قيد الرمح والرمح إصبع
فقد ضرعت منه الرواسي لما رأت فكيف قلوب الإنس والإنس أضرع
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر تخـــب المطايـــا فيـــه عشـــرا وتوضـــع

ولما ذاعت الأنباء بوصول العساكر الفاطمية إلى مصر اشتد الاضطراب في مصر وكثر الخلاف في الرأي، فرأى جماعة من الأمراء والجند من الاخشيدية والكافورية أن يحاولوا رد الغزاة بقوة السيف وأخذوا يتأهبون للقتال، لكن المعظم من الأمراء المصريين آثروا مهادنة الفاتحين والتفاهم معهم، وقرروا أخيراً أن يتقدموا إلى جوهر بطلب الأمان والصلح، واتفقوا مع الوزير ابن الفرات أن يتولى تلك المهمة، وطلبوا من مسلم أبا عبد الله الحسيني أن يكون سفيرهم لدى الفاتح، فأجابهم إلى ذلك وسار على رأس جماعة من مصر إلى لقاء جوهر فلقيه على مقربة من الإسكندرية في قرية تعرف بأتروجه أواخر رجب سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) فاغتبط جوهر بمقدمهم وأجابهم إلى ما طلبوا وكتب لهم أماناً بوثيقة هامة تعبر عن سياسة الدولة الفاطمية (إن أمير المؤمنين لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة، والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم، إذ قد تخطفتكم الأيدي، واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة، والتغلب عليه وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق، وتأكد عزمه، واشتد كلبه، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفرة دونكم، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق، الذين عمهم الخزي، وشملتهم الذلة، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا)[١] ثم يشير جوهر إلى ما أوعز به الخليفة الفاطمي من (من نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوان، ونفى الأذى، ورفع المؤن، والقيام في الحق، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان، وجميل النظر، وكرم الصحبة، ولطف العشرة، وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم، وحين تصرفهم في أوان ابتغاء معاشهم، حتى لا تجري أمورهم إلا على ما لم شعثهم، وأقام أودهم، وأصلح بالهم، وجمع قلوبهم، وألف كلمتهم، على طاعة وليه ومولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وما أمر به مولاه من إسقاط

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج١، ص١٠٤

الرسوم الجائرة التي لا يرتضي صلوات الله عليه بإثباتها عليكم) [1] ثم بعد ذلك يذكر جوهر المسألة الدينية (إن الإسلام سنة واحدة، وشريعة متبعة، وهي إقامتكم على مذهبكم، وأن تتركوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم، والاجتماع عليه في جوامعكم ومساجدكم، وثباتكم على ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعدهم، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبكم وفتواهم، وأن يجرى الأذان، والصلاة، وصيام شهر رمضان وفطره، وقيام لياليه، والزكاة، والحج، والجهاد على أمر الله وكتابه، وما نصه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، واجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه) [2].

على أن جوهر اضطر مع ذلك إلى خوض بعض المعارك مع فلول الاخشيدية والكافورية قبل أن يفتح مصر، ولعل هؤلاء أرادوا أن يقوموا بمحاولة أخيرة للدفاع عن مصر فاحتشدوا لقتال جوهر بالجيزة ونشب قتال بين الطرفين انهزم على إثره الاخشيدية بعد أن قتل عدد كبير منهم ولاذوا بالفرار وتم فتح مصر في منتصف شعبان سنة (٣٥٨هـ/٩٦٨م)[3]، وبعد ذلك استجاب جوهر لرغبة المصريين فجدد لهم الأمان وذهب الوزير ابن الفرات والشريف أبو جعفر إلى لقائه على رأس العلماء والكبراء، وسار جوهر في ركبه المنتصر إلى مصر في عصر يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة (٣٥٨هـ/٧يوليو٩٦٩م) وعليه ثوب ديباج مثقل وتحته فرس أصفر[4]، ونزل في الفسطاط في الشمال الغربي وفي مساء ذلك اليوم وضع جوهر مخططاً لتنفيذ أوامر سيده المعز في نفس المكان الذي نزل فيه وخطط المدينة الجديدة التي قرر الفاطميون إنشاءها لتكون قاعدةً ومعقلاً لهم في مصر، وحفر أساس القصر الفاطمي في وسطها، وجعلت كل قبيلة من القبائل التي قدمت مع جوهر خطة لها حول القصر مثل زويلة وبرقة وكتامة، فكان مولد العاصمة الجديدة التي سميت بالقاهرة المعزية نسبةً للخليفة للمعز[5]، دانت مصر لجوهر، وزفَّ إلى مولاه البشرى في منتصف رمضان، فاهتز الشاعر ابن هانئ لهذا النصر، وأنشد قصيدته التي يقول فيها:

يقول بنو العباس قد فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تصاحبه البشرى، ويقدمه النصر

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج١، ص١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٩.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٩.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٢٠٤.

ثم عُنِيَ جوهر بإنشاء الأزهر، وحين تمَّ بناؤه، أقيمت به صلاة الجمعة، واتخذ منبراً للدعوة الشيعية، يحتفل الفاطميون فيه بالمظاهر الدينية وشتى المواسم والأعياد، وقد قطع جوهر خطبة بني العباس عن منابر مصر، ومحا اسمهم من السكة، وعوَّض عنه اسم المعز، وأزال الشعار الأسود، وألبس الخطباء الثياب البيض، وجعل يجلس بنفسه كل سبتٍ لنظر المظالم بحضرة الوزير والقاضي وجماعة من أكابر الفقهاء(١).

أصل الفاطميين ونسبهم:

ينتسب الفاطميون إلى أول من ولى الخلافة منهم، أي المهدي أبي محمد عبيد الله بين عبدالله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(٢).

وطبقاً للرواية الفاطمية الإسماعيلية، كما أوردها الداعي عماد الدين إدريس في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي سبق عبد الله المهدي، مؤسس الخلافة الفاطمية في إفريقيا سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، سلسلة من "الأئمة المستورين" من أبناء محمد بن إسماعيل، امتنعت المصادر الإسماعيلية عن ذكر أسمائهم، فالأئمة الذين يصلون المهدي عبدالله بمحمد بن إسماعيل أشخاص عاشوا ظروف يكتنفها الكثير من الغموض، وحتى المصادر الإسماعيلية المبكرة التي كشفت حديثا لا تذكر أسماءهم(٣).

وهنا لا بد من القول أن التاريخ لم يحسم كلمته في شأن نسب الفاطميين، فهنا من المؤرخين من أيد صحة نسب الفاطميين إلى فاطمة الزهراء ومنهم من شكك في ذلك، وإن أقدم رواية انتهت إلينا في هذه المسألة هي رواية ابن رزام الكوفي وقد أوردها ابن النديم في الفهرست وفحواها أن ميمون بالقداح وكان من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز(٤) وأبوه ميمون، الذي تنسب إليه الفرقة المعروفة بالميموني، وكان ميمون وابنه ديصانيين وادعى عبد الله انه نبي مدة طويلة وكان

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٧. **المقريزي، اتعاظ الحنفاء**، ج١، ص٩٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣٠.

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٨٠. الحسين، محمد كامل، **أدب مصر الفاطمية**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م، ص٣٧.

(٣) ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت٦٣٣هـ/١٢٣٣م) **الكامل في التاريخ**، ط٢، ج٦، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٥٧٧.

(٤) الأهواز كورة عظيمة وهي سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم البلدان، ط٢، ج١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٨٤.

يظهر الشعاويذ، ويذكر ان الأرض تطوى له فيمضى إلى أين أحب في أقرب مدة وكان يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان الشاسعة وكان له معاونون في مواضع يرغبهم ويحسن إليهم ويعاونونه على نواميسه، وانتقل فنزل عسكر مكرم(١) فقبض عليه ثم هرب إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب، وكان ملاحقاً فهرب إلى سلمية(٢) بقرب حمص واشترى هناك ضياعاً وبث الدعاة إلى سواد الكوفة فأجابه من هذا الموضع رجل يعرف بحمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط، وكان داهية فنصب لدعوته عبدان صاحب الكتب المصنفة، وفرق عبدان الدعاة في سواد الكوفة وأقام قرمط بكلواذى(٣) ونصب له عبد الله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان(٤) وذلك في سنة (٢٦١هـ/٨٧٥م) ثم مات عبد الله فخلفه ابنه محمد بن عبد الله ثم مات محمد فاختلفت دعاتهم فزعم بعضهم ان أخاه أحمد خلفه وزعم آخرون أن الذي خلفه ولد له يسمى أحمد أيضا ويلقب بأبي الشلعلع، ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون وكان الحسين مات في حياة أبيه، ومن قبل سعيد انتشرت الدعوة في بني العليص الكلبيين ولم يزل عبد الله وولده بعد خروجهم من البصرة يدعون أنهم من ولد عقيل وكانوا قد أحكموا النسب بالبصرة فمن ولد عبد الله انتشرت الدعوة في الأرض وقدم الدعاة إلى الري وطبرستان وخراسان واليمن والاحساء(٥) والقطيف(٦)، ثم خرج سعيد إلى مصر فادعى أنه علوي فاطمي وتسمى بعبد الله وعاشر هناك النوشري ووجوه أصحاب السلطان، فبلغ خبره الخليفة العباسي المعتضد فكتب في القبض عليه فهرب إلى المغرب وقد كانت دعاته هناك قد غلبت على طائفتين من البربر، ثم نظر أن ما ادعاه من نسبه لا يقبل منه فأظهر غلاماً حدثاً وزعم أنه من ولد محمد بن إسماعيل وهو الحسن أبو القاسم وهو القيم بالأمر بعد عبيد الله) (٧)، ويشير ابن رزام بعد ذلك إلى ثورة أبي

---

(١) بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب الى مكرم بن معزاء الحارث. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٢٣.

(٢) بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تعد من أعمال حمص. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٠.

(٣) طسوج قرب بغداد، هي الجانب الشرقي من طسوجها، بالجانب الغربي من نهر بوق. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٧.

(٤) أكبر مدينة بطخارستان. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٦.

(٥) مدينة بالبحرين، معروفة مشهورة، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١١٢.

(٦) مدينة بالبحرين وهي قصبتها وأعظم مدنها وكان قديما اسما لكورة. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٨.

(٧) ابن النديم، محمد بن اسحق (ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م) **الفهرست**، تحقيق ابراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٣٢-٢٣٣.

يزيد البربري الخارجي على القائم، وحصاره للمهدية ووفاته أثناء الحصار، ثم قيام ابنه معد أبي تميم (المعز) من بعده ووفاته بمصر ثم قيام العزيز[١].

ثم يعرض ابن النديم أقوال أخرى عن جهود الدعاة من بني القداح في خراسان وطبرستان وأذربيجان، ومن ذلك أن بعضاً منهم من كان يتعصب للمجوس ودولتهم، ويجتهد لردها في أوقات منها بالمجاهرة ومنها بالحيلة سراً، وأنهم أحدثوا لذلك في الإسلام حوادث منكرة، وقد قيل أن أبا مسلم هو صاحب الدعوة، وأنه كان يعمل تحقيقها، ولكنه توفي قبل ذلك[٢].

وهناك كتابات الشريف العابد المعروف بأخي محسن وقد عاش في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وقد طعن في نسب الخلفاء الفاطميين، ومنها ما كتبه عبد القادر البغدادي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) لمناسبة حديثه عن دعوة الباطنية فهو يقدم إلينا ميمون بن ديصان القداح باعتباره من مؤسسي هذه الدعوة، ويذكر أنه كان مجوسياً من سبي الأهواز، وكان مولى لجعفر الصادق، وأنه رحل لناحية الشام، وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب وزعم أنه من نسله، ثم ادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، ثم دخل في دعوته إلى دين الباطنية رجل من سواد الكوفة هو حمدان قرمط الذي تنتسب إليه القرامطة، ثم لما تمادت الأيام بهم ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسمه ولقبه، وزعم أنه عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، ثم ظهرت فتنته بالمغرب واستولى أولاده على مصر[٣].

وهناك رواية وردت لدى ابن الأثير مفادها أن ميمون بن ديصان وكان يكنى بأبي شاكر كان من أعداء الإسلام الذين حاولوا الطعن فيه، وإفساد صحيحه بالتأويل والأحاديث الكاذبة، وأن له كتاباً يسمى (الميزان في نصرة الزندقة) وكان هؤلاء يظهرون التشيع لآل البيت ليستروا دعوتهم الإلحادية الإباحية، ثم نشأ لميمون ولد هو عبد الله وكان مثله بارعاً في الشعوذة والتنجيم والكيمياء، وكان بنواحي كرخ وأصبهان رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بدندان وله هنالك نفوذ عظيم، وكان يبغض العرب ويجمع مساوئهم فاتصل به عبد الله، وسيره إلى الأهواز والبصرة والكوفة ليعمل على بث الدعوة ونشرها، فلما توفي عبد الله قام من بعده ولده أحمد، ثم توفي وخلفه ولده محمد وكان هو الذي يكاتبه الدعاة في البلاد، ولما توفي محمد خلفه أحمد والحسين، فسار الحسين إلى أعمال سلميه من حمص، وله هناك أموال وودائع ووكلاء وغلمان تركها جده عبد الله

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٤.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج١، ص٢٨.

القداح، وكان الحسين يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر، والدعاة بالمغرب واليمن يكاتبونه، ووصفت له امرأة يهودية رائعة الحسن، توفي عنها زوجها الحداد اليهودي فأحبها وتزوجها، وكان لها من زوجها الحداد ولد يماثلها في الحسن فأحبه وعلمه وأدبه، فنشأ غزير العلم والمعرفة كبير النفس والهمة، وهنا يروى أن الحسين مات دون عقب، وعهد إليه قبل موته بالدعوة وعرفه أسرارها وأعطاه الأموال والعلامات، وتقد إلى أصحابه بطاعته وخدمته، وأنه الإمام والوصي فكان هو عبيد الله المهدي، وانتحل عبيد الله لنفسه نسباً في آل البيت فسمى نفسه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، وهنا يبدي ابن الأثير وهو الذي ينقل لنا هذه الرواية ريبة في مصداقيتها فيقول: (وهذه الأقوال فيها ما فيها، فيا ليت شعري ما الذي حمل أبا عبد الله) الشيعي وغيره ممن قام بإظهار هذه الدعوة، حتى يخرجوا (هذا) الأمر من أنفسهم، ويسلموا إلى ولد يهودي، وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده دينا يثاب عليه؟)[١] ويبدو أنه محق بذلك فالرواية فيها الكثير من المبالغة والإغراق.

وهناك من أعاد نسبهم إلى اليهود فقد ذكر القاضي عبد الجبار البصري أن اسم جد الفاطميين سعيد، ويلقب بالمهدى، وكان أبوه يهودياً حداداً بسلمية؛ ثم زعم سعيد هذا أنه ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح. وأهل الدعوة أبو القاسم الأبيض العلوى وغيره يزعمون أن سعيداً إنما هو من امرأة الحسين المذكور، وأن الحسين رباه وعلمه أسرار الدعوة، وزوجته بنت أبى الشلغلغ، فجاءه ابن فسماه عبد الرحمن، فلما دخل الغرب وأخذ سجلماسة تسمى بعبيد الله ثم تكنى بأبي محمد، وسمى ابنه الحسن، وزعمت المغاربة أنه يتيم ربه وليس بابنه ولا بابن زوجته؛ وكناه أبا القاسم وجعله ولى عهده[٢]، أما ابن ياقوت الحموي فيذكر في معجمه بمناسبة حديثه عن بناء مدينة المهدية التي أسسها المهدي فيقول:(واختلف في نسبه فأكثر أهل السير الذين لم يدخلوا في رعيتهم وبعض رعيتهم الذين كانوا يخفون أمرهم يزعمون أنه كان ابن يهودي من أهل سلمية الشام وتزوج القداح الذي كان أصل هذه الدعوة بأمه فرباه إلى أن حضرته الوفاة ولم يكن له ولد فعهد إليه وعلمه الدعوة وكان اسمه سعيدا فلما صار الأمر إليه سمي عبيد الله) [٣]، وكذلك النسابة ابن حزم يبدي ريبةً في نسبهم إلى آل البيت ويذكر لنا أن المهدي ادعى أنه من ولد جعفر بن محمد بن اسماعيل، وادعى مرة أخرى أنه من ولد الحسين بن محمد بن اسماعيل ثم يقول:(كلّ هذه دعوى مفتضحه، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥٨٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٧٥.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٠.

الحسين، وهذا كذب فاحش، ولأنّ مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب ولا يجهل أهله إلا جاهل) [١]، ويؤيد هذا الريب ابن خلكان إذ يقول في ترجمته لعبيد الله المهدي (وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب)[٢].

أما ابن خلدون فيحاول إثبات نسبهم، ويعتبر أن الطعن في نسب الفاطميين من الأخبار الواهية ويعتبر أن الطاعنين يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم[٣]، ويؤيد فكرة ابن خلدون المؤرخ المقريزي فهو يقدم سلسلة أبناء علي بن أبي طالب حتى يصل بفرع جعفر الصادق إلى المهدي عبيد الله الفاطمي، ويقول إنه هو عبيد الله بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل بن جعفر الصادق، ثم يورد مختلف الروايات الطاعنة في نسب الفاطميين، وما ذكره ابن خلدون في تفنيدها ثم يعلق على ذلك بقوله: (أن الله تعالى لا يمد الكذاب المفتعل بما يكون سبباً لانحراف الناس إليه، وطاعتهم له على كذبه، وأن الافتراء عليه في دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة من أعظم الجنايات، وأكبر الكبائر، فلا يليق بحكمة الله تعالى أن يظهر من تعاطى ذلك واجترأ عليه، ثم يمده في ظهوره بمعونته، ويؤيده بنصره،... فلم يفعل ذلك بعبيد الله المهدي، بل كتب تعالى له النصر على من ناوأه، والتأييد بمعونته على من خالفه وعاداه، حتى مكن له في الأرض، وجعله وبينه من بعده أئمة، وأورثهم أكثر البسيطة) [٤].

إن الخلفاء الفاطميين فيما بعد لم يحاولوا قط إبطال الحملات التي شنها ضدهم أعداؤهم[٥] أو الرد عليها بسبب إصرارهم على عدم إذاعة أي نسب رسمي لأصولهم اعتماداً على مبدأ معروف في دوائر الشيعة هو" عدم كشف أولئك الذي سترهم الله" حتى إن الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله عندما دخل إلى مصر ولقبه أشرافها وسألوه عن نسبه، اكتفى بأن سل لهم نصف

---

(١) ابن حزم، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) **جمهرة أنساب العرب**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٦١.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١١٧-١١٨.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ط٢، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٩.

(٤) المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م). **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ط١، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت) ص٥٢-٥٣.

(٥) انظر السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) **الأنساب**، ط١، ج١٠، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى، حيدر أباد، ١٩٦٢ ص ٣٥٠. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٨٠.

سيفه وقال: "هذا نسبي، ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال: هذا حسبي"[١]، كما أن ولده العزيز عندما كتب إلى خليفة الأندلس كتابا يسبه ويهجره فيه جاءه رده عليه: "أما بعد: فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك، والسلام" بسبب عدم إفصاح الفاطميين عن أي نسب رسمي لأصولهم.[٢]

تعريف بالفاطمية:

الفاطمية فرقة من فرق الشيعة، اشتهرت بالإسماعيلية نسبة إلى الإمام "إسماعيل" بن جعفر الصادق، يؤمن الفاطميون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصاية علي بن أبي طالب، وإمامة ابنه الحسن، فالحسين، فزين العابدين، فمحمد الباقر، فجعفر الصادق، فإسماعيل، فابنه محمد بن إسماعيل، فأئمة دور الستر أي: عبدالله بن محمد، فأحمد بن عبدالله فالحسين بن أحمد، فأئمة الظهور وأولهم عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب. [٣]

لكن الفاطميين لم يشاطروا الغلاة من الشيعة الإيمان بألوهية عليا والأئمة من ذريته، وقالوا: إنهم أحياء يرزقون، إنما ينظرون إلى أئمتهم على أنهم من البشر، يحيون ويموتون كسائر البشر، ويخالف الفاطميون أيضاً الشيعة الاثنا عشرية الذين يؤمنون بغيبة الامام محمد المهدي بن الحسن العسكري الباقي حيا حتى يعود ليملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً. [٤]

وتنتقل الإمامة عند الفاطميين من الآباء إلى الأبناء، ولا تنتقل من أخ إلى أخ آخر باستثناء الحسن والحسين ابن الامام علي بن أبي طالب، فالأب ينص على ابنه في حياته، وهذا الإيمان أصل من أصول المذهب الفاطمي في تسلسل الامامة عندهم، وان الله سبحانه وتعالى لا يترك العالم بدون امام ظاهر مكشوف أو باطن مستور تنتقل الامامة إليه بعد أبيه الامام من نسل علي بن

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، **البداية والنهاية**، ط١، ج١١، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٦٧.

(٢) اليافعي، عبد الله بن اسعد (ت٧٦٨هـ /١٣٦٧م) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، ط١، ج٢، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٢٤.

(٣) أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الاسلامية**، ج١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٥٩-٦٠.

(٤) الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ط١، ج٣، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٧٩.

أبي طالب، وأن الامام هو حجة الله على عباده، وهاديهم إلى الطريق القويم، ويجب على كل مؤمن أن يتبع هذا الإمام ويعتقد بولايته التي تنتقل من الأب إلى الابن، لأن الولاية هي الأصل الذي يدور عليه موضوع الفرائض.[١]

---

(١) السيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر**، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٦٧.

الفصل الأول

الدور السياسي للعلماء خلال العصر الفاطمي

الفصل الأول

الدور السياسي للعلماء خلال العصر الفاطمي

تغافلت الكثير من الدراسات التي تناولت التاريخ الإسلامي عن ذكر شريحة هامة من شرائح المجتمع الإسلامي، ألا وهي شريحة العلماء ودورهم في التصدي لتغيير مجريات الأحداث وكتبت بحروف من نور تاريخ مشرق للأمة الإسلامية على مر العصور.

ومن أهم الأدوار التي قام العلماء بها في الحياة العامة الدور السياسي والحراك الذي كانوا يقومون فيه بتوعية الأمة من المخاطر التي تحيق بها، وذلك في إطار تحمل مسئوليتهم الأخلاقية والشرعية بالمشاركة في الحياة السياسية وعدم الاكتفاء بالدور التعليمي في المساجد وقاعات الدرس.

وقد كان للعلماء إبان عصر الدولة الفاطمية في مصر دور عظيم في الحياة العامة بصفة عامة والحياة السياسية بصفة خاصة بمشاركاتهم الفعالة في التنوير، وإنصاف المظلوم وإبداء النصح للحاكم ومحاولة ترسيخ المبادئ الفقهية الإسلامية الوسطية، خاصة أنه انتشر في عهد الفاطميين مذهب الشيعة عن طريق الدعاية والتبشير وأحياناً عن طريق السيف والقوة، كما كان النظام السياسي في الدولة الفاطمية سبباً في ظهور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ذلك العصر بصورة جلية.

وسوف نستعرض في هذا الفصل الحياة السياسية في العصر الفاطمي في مصر، والتقسيمات الوظيفية ومهام الخليفة الفاطمي والوزارة التي كانت موكل لها تنفيذ تعليمات ووصايا الخليفة، كذلك السياسة المتبعة من الفاطميين في مصر ودور العلماء في الحياة السياسية في مصر في العصر الفاطمي.

النظام السياسي في الدولة الفاطمية:

انعكس النظام السياسي على الحياة اليومية أيام الفاطميين في إيجابياته وسلبياته، فتظهر الإيجابيات في بقاء السلطة بيد الخليفة، ومباشرته إياها مباشرة أو بطرق غير مباشرة لما فيه خير البلاد والعباد، وتبدو سلبيات النظام السياسي عندما تحولت السلطة إلى يد الوزراء وغيرهم من الأمراء الذين تولونها بطرق ملتوية وغير شرعية عن طريق الاغتصاب والمؤامرات التي يسعون

إليها، فلحق من جرائها الضرر بالبلاد، وتفيد دراسة النظام السياسي في العصر الفاطمي في مصر في الدور الحيوي والهام الذي قام به العلماء والفقهاء في الدولة الفاطمية في ذلك العصر[١].

الإمامة (الخلافة):

على رأس النظام الفاطمي تأتي شخصية الإمام أو الخليفة، ومن المعروف أن تولي الخليفة لدى أهل السنة يكون نتيجة انتخاب أو تعيين من الخليفة السابق تؤكده مبايعة عامة من الرعية، وفي الدولة الفاطمية كانت الإمامة للإمام الفاطمي من الخليفة الذي سبقه، وذلك بموجب الحق الإلهي ويُختَار ليكون وصياً للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتنتقل الإمامة من الأب إلى الابن الأكبر، أي يجب أن تكون في الأعقاب، والشرط الوحيد اللازم توافره في شخص الإمام هو "الوصية" أي "النص" عليه من الإمام السابق.[٢]

وبالتالي فلا يتطلب الفاطميون توافر شروط خاصة في الإمامة أو الخليفة مثل الشروط التي يتطلبها أهل السنة في شخص الخليفة أو الزيدية في شخص الإمام الزيدي، وكان من الممكن للإمام أن يخفي وصيته عن مجموع المؤمنين ولا يغلم بها بعض لا غير، الذين عليهم أن يكشفوا عنها فقط في الوقت المناسب والأئمة عندهم معصومون.[٣]

ويعتبر الخليفة رأس الدولة وتشمل سلطته السياسية قيادة الجيش باعتباره القائد الأعلى له، ورأس السلطة التنفيذية، فهو الذي يعين الوزراء والولاة والأمراء، وسائر الموظفين ويقطع الإقطاعات، وهو القاضي الأعلى، كما أنه يتولى ديوان المظالم ويسمى قاضي القضاة، وتتكرس السلطة الدينية له بذكر اسمه على المنابر ونقشه على العملة، كما أنه صاحب الحق في الثواب والعقاب بالمكافأة أو العزل من المناصب مع مصادرة الأموال والأملاك إذا ما اتضح له إنها جمعت بطرق غير مشروعة[٤].

وقد أدى هذا النظام السياسي في الدولة الفاطمية إلى وصول عدد كبير من الأطفال والمراهقين الغير مؤهلين للحُكم إلى منصب الإمامة، مما مكن لرجال القصر ونسائه وللوزراء

---

(١) أيوب، إبراهيم رزق الله، **التاريخ الفاطمي السياسي**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٧م، ص ١٠٤.

(٢) ابن الصيرفي، علي بن منجب سليمان (٥٤٢هـ/١١٤٧م) **القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٩٦.

(٣) ابن الطوير، المرتضى عبد السلام(٦١٧هـ/١٢٢٠م) **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، تحقيق أيمن فؤاد، النشرات الإسلامية، شتوتجارت، ١٩٩٢م، ص ٢٣

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، ج٢، ص ٥٩.

وقادة الجيش السيطرة التامة على الدولة وأن تكون بأيديهم السطلة الحقيقية، وتلقب الفاطميون في سجلاتهم وعلى نقودهم بـ "الإمام" وبـ "أمير المؤمنين" ولم يتلقبوا في الوثائق الرسمية بالخليفة حرصاً منهم على إظهار صفتهم الروحية وسلطتهم الدينية[١]، تقريباً منذ الشدة العظمى التي وقعت في خلاة المستنصر بالله (٤٥١هـ/١٠٥٩م) تدخل الخلافة الفاطمية في عهد الانحلال، وتفقد سلطانها تباعاً ويبدأ عصر الوزراء الطغاة باستيلاء القائد بدر الجمالي على الحكم سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٥م) وفي ظل أولئك الوزراء الطغاة الذين تعاقبوا في الحكم من ذلك التاريخ، يفقد الخلفاء الفاطميون كل سلطة ويصبحون أدوات لينة، ويستمرون كذلك حتى ذهاب دولتهم[٢]، لقد ظل توارث الإمامة يسير دون اعتراضات ذات شأن إلى حين وفاة المستنصر بالله سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) حيث تدخل الوزير القوي الأفضل شاهنشاه لعزل نزار الابن الأكبر للمستنصر وصاحب الحق الشرعي في الإمامة وتولية المستعلي الابن الأصغر مما أدى إلى نشوء أول انقسام في الدولة الفاطمية[٣]، وكذلك بعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله سنة (٥٢٤هـ/١١٣٠م) دون وريث (وإن كان أشار إلى أنه ترك إحدى جهاته حاملاً) وتولى الأمر بعده ابن عمه عبد المجيد أكبر الأقارب سناً، كإمام مستودع وفقاً للمصطلح الإسماعيلي إلى أن عزله الوزير أبو علي الأفضل كتيفات واستولى على السلطة لمدة أربعة عشر شهراً باسم الإمام المنتظر إلى أن قتل أبو علي وأعيد عبد المجيد في أوائل السنة (٥٢٦هـ/١١٣١م) ولياً لعهد الدولة الفاطمية، ثم عين نفسه إماماً باسم الحافظ لدين الله في السنة ذاتها، كما أن الخليفة العاضد آخر الخلفاء لم يكن أبوه إماماً كما يتطلب المذهب الإسماعيلي[٤].

الوزارة:

كان الخلفاء العباسيون أول من اتخذ الوزراء لإدارة شئون دولتهم، وأخذوا منصب الوزير عن الفرس، فكان أول وزير في الإسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال، وزير أبي العباس السفاح (١٣٢– ١٣٦هـ/٧٥٠-٧٤٥م)، فقبل ذلك كان الحاجب يقوم مقام الوزير، ومع هذا لم

---

(١) السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٢٠.

(٢) عنان، عبد الله، **الحاكم بأمر الله والدعوة الفاطمية**، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٣) ماجد، عبد المنعم، **نظم الفاطميون ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٥١-٧٧.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، ج٣، ص ١٤٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٣٧.

تعرف مصر الإسلامية لقب الوزير (أو الوزارة) إلا في العهد الاخشيدي (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٤-٩٦٨م) حيث وزر جعفر بن الفرات[١] للإخشيد، فكان مقدما على سائر رجال الدواوين والقواد، قف على بابه كثير من الحرس، وإذا تقدم بين يدي غلمان مسلحون، وعندما فتح جوهر الصقلي مصر خاطب جعفر بن الفرات بالوزير بعد مراجعته في ذلك، باعتبار أن منصب الوزير لم يكن موجودا لدى الفاطميين، وكان الحاجب يقوم مقامه.[٢]

كان أول وزراء الدولة الفاطمية هو أبو الفرج يعقوب بن كلس، خلع عليه العزيز لقب الوزارة سنة (٣٦٨هـ/٩٧٩م) ولقبه بالوزير الأجل، ومنذ ذلك الحين قامت خطة الوزارة في الدولة الفاطمية، ولما توفي ابن كلس استبدلت صفة الوزارة بصفة الوساطة والسفارة، وأطلقت على من تولوا شؤون الدولة العليا بقية عهد العزيز وبقية عهد الحاكم بأمر الله، ولقب رؤساء الدولة يومئذ بمختلف الألقاب التي أغدقتها الدولة الفاطمية على رجالها، وقد ابتكرت هذه الألقاب ورتبت وصدرت بها مراسيم (سجلات) التعيين، فكان منها أمين الدولة الذي منح للحسن بن عمار، وقائد القواد الذي منح للحسين بن جوهر، وأمين الأمناء الذي منح للحسين بن طاهر الوزان، وثقة ثقاة السيف والقلم الذي منح لعلي بن صالح الروذباري، ووزير الوزراء الذي منح لعلي بن جعفر بن فلاح، ورئيس الرؤساء الذي منح لخطير الملك أبي الحسن بن عمار، وغير ذلك من الألقاب الفخمة التي توالت فيما بعد، أما الوزراء النصارى فكانت تطلق عليهم ألقاباً مناسبة أخرى مثل الرئيس والكافي والشافي[٣].

تقسيم الوزارة في العهد الفاطمي:

انقسمت الوزارة في عصر الفاطميين كبقية العالم الإسلامي إلى وزارة تنفيذ ووزارة تفويض، ولم يعرف الفاطميون في المرحلة الإفريقية منصب الوزير، أما في مصر فقد كان الغالب على وزراء العصر الفاطمي الأول وزراء التنفيذ، بينما كان كل وزراء العصر الفاطمي الثاني

---

(١) وزير في عهد الإخشيديين بمصر، وفد من بغداد ووزر لأنوجور بن أبي بكر الإخشيد، ثم لأخيه، ثم لكافور، وبقي وزيراً إلى أن انتهت الدولة الإخشيدية، عرض عليه المعز الفاطمي الوزارة فامتنع وأقام بمصر، مات في عهد الحاكم بأمر الله، فحمل تابوته إلى المدينة، ودفن فيها حسب وصيته.

(٢) السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ط١، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨م، ص١٢٩.

(٣) عنان، الحاكم بأمر الله والدعوة الفاطمية، ص٣٢٩-٣٣٠.

ابتداءً من بدر الجمالي[1] وزراء تفويض، فعند وصول الخليفة المعز إلى مصر فضَل أن لا يفوض سلطاته إلى أحد وأن يباشر التدبير نفسه ولا يعول فيه على غيره" ولكنه أوجد ما أطلق عليه "الوساطة" لأن صاحبها كان يتوسط بين الخليفة والرعية، ولم يظهر لقب الوزير في مصر الفاطمية إلا في رمضان سنة ٣٦٨هـ / إبريل سنة ٩٧٩م عندما منح الخليفة الفاطمي الثاني العزيز بالله ليعقوب بن كلس لقب "الوزير الأجل" وأصبح بذلك أول وزراء الدولة الفاطمية، ولم يثبت هذا اللقب على الدولة رسميا إلا في زمن الخليفة الفاطمي الرابع لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) بتولي الوزير أبي القاسم علي بن احمد الجرجرائي وزارة التنفيذ في سنة (٤١٨هـ/١٠٢٨م) حيث أصحبت الوزارة منذ هذا التاريخ منصبا وتكليفا ويطلق عليها "رتبة" وكانت كل مسؤوليات الوزير إدارية فقط، فلا يشير سجل توليته إلى أية مسؤوليات عسكرية أو قضائية.[2]

وكان وزير التنفيذ لا يزيد عن كونه وزيراً معنياً ذا سلطات محدودة حيث كان للخليفة كل السلطة على الوزير ويراجع جميع أفعاله، وكان الوزير الحسن بن علي اليازوري (٤٤٢-٤٥٠هـ/١٠٥٠-١٠٥٨م)[3] آخر وزراء التنفيذ الأقوياء الذي أضيف إلى مسؤولياته القضاء والدعوة.[4]

وذكر ابن الأثير وأبو الفداء أن رضوان بن ولخشي "هو أول من لقب من وزراء الفاطميين بـ "الملك" مضافا إلى بقية الألقاب، وأكد المقريزي ذلك في اتعاظ الحنفاء، ولكن ما ذكره المقريزي يناقض نصا آخر للمقريزي في الاتعاظ حيث يذكر في ترجمة الوزير طلائع بن رزيك أن نعت في سجل توليته بـ "الملك الصالح" وأنه "لم يلقب أحد من الوزراء قبله بالملك وذلك في يوم الخمس٤ ربيع الآخر سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) "وهو أول من خوطب بالملك في ديار مصر

---

(١) بدر بن عبد الله الجمالي، أصله من أرمينية، تقدم في الخدمة حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر الفاطمي، ثم قلده (وزارة السيف والقلم)، وأصبح الحاكم في دولة المستنصر والمرجوع إليه (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤١.

(٢) ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، ص ١٤٧.

(٣) الحسن بن علي اليازوري ولي القضاء في الرملة ثم تمكن من الوصول إلى خدمة أم الخليفة المستنصر بالله، حتى أصبح وزيراً بعد ذلك، وهو من أثار البساسيري في بغداد (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). ابن الصيرفي، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٠-٤٥.

(٤) سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٥٤.

ونعت به"، ويؤكد ذلك ما ورد عند ابن ميسر وكذلك سجل تقليد رضوان الوزارة والذي لم يرد فيه لفظ الملك.[١]

كما كان الخليفة يستوزر في وزارة التفويض، رجلاً يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وعلى اجتهاده فيتولى الوزير كل شيء بسلطات واسعة ويفوض في أمور الدولة، والتصرف في شؤونها دون الرجوع إلى الخليفة وقد حدد السيوطي صلاحية وزير التفويض بقوله: "الوزير نائب الخليفة، يفوض إليه جميع أمور المملكة، وتولية من رآه من القضاة، ونواب البلاد، وتجهيز العساكر والجيوش، وتفرقة الأرزاق إلى غير ذلك"، وإن له "البسط والقبض والرفع والخفض والإبرام والنقض والقطع والوصل، والولاية والعزل والتصرف والصرف، والإمضاء والوقف..".[٢]

ويستنتج مما سبق بأن وزراء التنفيذ ليس لهم استقلال في إدارة شئون وزارتهم إلا بسلطان من الخليفة أو الإمام، وذلك نظراً لكونهم مساعدين له في ضبط الأمور وليس لهم من الأمر شيء.

إن أهم ما يميز منصب الوزارة في العصر الفاطمي هو أن الكثير من وزراء الفاطميين الذين منحوا لقب الوزارة أو لقب الوساطة كانوا من النصارى مثل عيسى بن نسطورس وزير العزيز وكذلك زرعة بن نسطورس الشافي الذي خلف وزيراً نصرانياً آخر هو منصور بن عبدون الكافي وكلاهما في أيام الحاكم[٣]، ويعد بهرام الأرمني الذي تولى وزارة التفويض للخليفة الحافظ أوضح مثال لذلك فقد ظل هذا الوزير على نصرانيته رغم كونه وزير سيف ولقب أيضاً بتاج الدولة[٤]، وفي المقابل فإن اليهود رغم شغلهم مناصب هامة في زمن الفاطميين فيبدو أنه كان عليهم أن يتحولوا إلى الإسلام ليتولوا منصب الوزارة مثلما فعل ابن كلس وأبو سعد التستري وصدقة بن يوسف الفلاحي[٥].

سياسة الفاطميين تجاه المصريين:

نبعت قوة الدولة الفاطمية في مصر من قدرتها على الاستفادة من إمكانات كل الأفراد المنتمين إلى كافة التكتلات العرقية، بالإضافة إلى كافة الطبقات الاجتماعية في المجتمع المصري

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، ص ٢٨١.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١٢٣.

(٣) الأعشى، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٦٢.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين، ج٣، ص١٥٥.

(٥) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص١٩٤.

من علماء وعمال ومزارعين وتجار وصناع، وكانت تؤلف تكون مجموع الشعب المصري، وهذه الاستفادة لم يسبق لخلافة قبلها أن استطاعت استثمارها كما فعل الفاطميون.[١]

فقد استعان الفاطميون بالعناصر الأجنبية مثل المغاربة والأرمن والأتراك والسودان، وأفادوا بخبرة أهل الذمة، وخاصة لمعرفة الأقباط بالمسائل المتعلقة بالمال وعهدوا إليهم بالوظائف الرئيسة في الدولة التي أبُعِد عنها أهل السُنة.[٢]

وعلى ذلك ظل الفاطميون في حكمهم لمصر كحكومة أقلية منفصلة عن مجموع الرعايا، وذلك بسبب آرائهم الدينية، مما أفقدهم تأييد البلاد الحقيقيين وقد أدرك الفاطميون أن الاسماعيلية لم يتم ترسيخها في شمال أفريقيا على مدار عشرات السنين من الدعاية لها، وذلك رغم البيئة المناسبة لها، وخاصة أن مصر بما فيها من ذميين ومسلمين على مذهب السُنة لن تكون أرضاً خصبة للتبشير بالمذهب الشيعي[٣].

وقد قام العلماء من أهل السُنة في مصر إبان العصر الفاطمي، بدعوة الناس إلى التمسك بالمذهب السني وعدم اللجوء إلى المذهب الشيعي طمعاً في وظيفة أو عطايا من التي كان الفاطميون يميزون بها أنصار المذهب الاسماعيلي، وذلك بحلقات الدروس في الجامع الأزهر الذي كان يدرس فيه كافة المذاهب الإسلامية التي يتبعها أهل السنة كالمذهب المالكي والذي تفرد بأكثر من ٢٣ حلقة في الجامع الأزهر، وكذلك المذهب الحنفي والذي كان له نفس العدد من الحلقات، والمذهب الحنبلي الذي كان له ٥ حلقات في الجامع الأزهر.[٤]

ويجب الإشارة هنا إلى أن رضوان بن ولخشي ذلك الوزير السني والذي خلف بهرام قيام ببناء أول مدرسة في الاسكندرية لتدريس المذهب المالكي سنة (٥٣٢هـ/١١٣٨م) وقرر في تدريسها الفقيه المالكي أبا الطاهر بن عوف[٥] وقد عرفت هذه المدرسة بالمدرسة الحافظية وأيضاً

---

(١) سيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٣

(٣) عنان، الحاكم بأمر الله والدعوة الفاطمية، ص٢٩٢.

(٤) كاهن، كلود.، **أخبار الدولة المصرية**، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٤٦

(٥) هو إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف إمام عصره وفريد دهره في الفقه على مذهب مالك رحمه الله وعليه مدار الفتوى وجمع إلى ذلك الورع والزهد وكثرة العبادة والتواضع التام، وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب يعظم ابن عوف ويراسله ويستفتيه (ت٥٨١هـ/١١٨٥م) ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٧م) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٩٥-٩٦.

وأيضاً المدرسة العوفية[١]، وكان إنشاؤها في الاسكندرية باعتبارها مركز المقاومة السنية، فقد كان كل سكانها من السنة والمذهب الشائع بينهم هو المذهب المالكي بسبب صلاتها بشمال افريقيا والأندلس، ثم بعد أربعة عشر عاماً أنشأ وزيراً سنياً آخر هو العادل بن السلار[٢] مدرسة ثانية في الاسكندرية ولكن هذه المدرسة لتدريس المذهب الشافعي نحو سنة (٥٤٦هـ/١١٥٠م) وقرر في تدريسها الفقيه والمحدث الشافعي أبا الطاهر السلفي[٣]، ويبدو أن إنشاء هذه المدارس في مصر كان لتدعيم الإسلام ضد تحدي أو استفزاز أهل الذمة الذين وصلوا لشغل مناصب عليا في الدولة خلال العقود الأولى للقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي عندما كان الأرمن هم أصحاب السيادة وعلى الأخص في فترة بهرام الأرمني (٥٢٩-٥٣١هـ/١١٣٥-١١٣٨م) [٤].

علماء أهل السُنة في مقاومة المد الشيعي في مصر:

قاوم علماء أهل السنة المد العبيدي بكل الأساليب المتاحة لهم من حجة وتعليم ودعوة وتعددت طرقهم وتصورت في عدة أساليب منها ما يلي[٥]:

١. صمود العلماء والفقهاء ضد أعمال الفاطميين وتحملهم للأذى والسجن والقتل مما ساهم في تثبيت عوام المسلمين على عقيدة أهل السنة، وقد عمل الفاطميون على إخلاء الساحة من العلماء بالترغيب وضمهم في دعوتهم أو بالترهيب حتى يسقط العامة.
٢. قاطع العلماء جميع مؤسسات الدولة الفاطمية؛ فلا يختصمون إلى قضائهم، ولا يصلون وراء أئمتهم، ولا يأتون مهنئين، ولا معزين، ولا يتوارثون معهم، ولا يصلون على موتاهم، ولا يناكحونهم.
٣. حصن علماء أهل السنة أهل مصر بالفتاوى التي أوضحت ضلال الدعوة الاسماعيلية، وقد انتشرت هذه الفتاوى، وعرفها الخاص والعام، فكانت حاجزًا منيعًا بين العوام، وبين التردي في دعوة الفاطميين للمذهب الشيعي.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٠، ص٤٦٥.

(٢) أبو الحسن علي بن السلام، المنعوت بالملك العادل سيف الدين، كان كردياً زرزارياً، وكان تربية القصر بالقاهرة وتقلبت فيه الأحوال في الولايات بالصعيد وغيره إلا أن تولى الوزارة للظافر سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) قتل سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤١٦-٤١٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤١٦-٤١٨.

(٤) السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٨٧.

(٥) الصاوي، أحمد السيد، **مجاعات مصر الفاطمية** – أسباب ونتائج -، بيروت، دار التضامن، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٣-٢٤.

٤. قاطع العلماء من استجاب وداهن الفاطميين من الفقهاء وإن لم يدخل في دعوتهم.
٥. فتح العلماء والفقهاء بيوتهم للناس لفضح معتقدات الفاطميين الاسماعيليين، واجتهد العلماء سراً في تعميق عقائد أهل السنة وأصولهم وفقههم في قلوب أهل مصر.
٦. اجتهد علماء أهل السنة في غرس منهج أهل السنة في أبناء المصريين.

الفصل الثاني

الدور الاقتصادي للعلماء خلال العصر الفاطمي

الفصل الثاني

الدور الاقتصادي للعلماء خلال العصر الفاطمي

في العصر الفاطمي شهدت مصر تطورات كبيرة في كافة المجالات وخاصة المجال الاقتصادي، حيث كانت مصر مورداً اقتصادياً هاماً للدولة الفاطمية، وخاصة في منطقة الصعيد التي كانت تمد الدولة الفاطمية بقسط وفير من الواردات للدولة، وذلك يعود للموقع الجغرافي للإقليم في مصر، بالإضافة إلى حالة الاستقرار التي كانت متوفرة فيه، وتوافر كافة المواد الخام، والشهرة التي اجتذبها صعيد مصر في الزراعة لكافة المحاصيل التي تعد في ذلك الوقت هامة، كالسكر والقمح والتمر...الخ، فكانت تلك المنتجات تصدر إلى الخارج مما عمل على تنشيط التجارة الخارجية للدولة الفاطمية في مصر مع البلدان المجاورة، مما استدعى حرص الدولة الفاطمية على ذلك الإقليم بصفة خاصة كونه يمد الدولة بكافة احتياجاتها الغذائية والثروات الطبيعية، كما كانت حركة الحجاج تعتبر من مظاهر الحياة الاقتصادية في الدولة الفاطمية مما هيأ وجود طرق آمنة لقوافل الحجيج وتوفير القوات الكافية لحمايتها.

المجالات الاقتصادية في الدولة الفاطمية في مصر:

لا بد في البداية من أن نعرّج على صورة الحياة الاقتصادية في مصر، والمتمثلة بالزراعة والتجارة وغيرها، وهذا ضروري لتكمل الصورة إلى أكبر قدر ممكن.

الزراعة في مصر في العصر الفاطمي:

اهتم الفاطميون كثيراً بالزراعة، لأنها أهم مصدر للثروات في الدولة المصرية، فكان في ذلك الوقت يعتبر القمح هو المحصول الأهم في الزراعة حيث كانت مساحة زراعته تشغل جزء كبير من الأراضي الزراعية، وخاصة في صعيد مصر ومنطقة الدلتا كونه الغذاء الرئيسي للرعية[١].

كذلك يعد محصول الكتان من المحاصيل المهمة في القطر المصري، حيث كان يتم زراعته في الدلتا وفي الفيوم، فكانت له عوائد كبيرة على الدولة، ويشتغل بزراعته فئة كبيرة من المجتمع المصري، وقد توسع المصريون في العصر الفاطمي في زراعة قصب السكر كونه محصول

---

[١] البراوي، راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة (د. ت)، ١٩٤٨م، ص٧٣.

اقتصادي بالدرجة الأولى، وقال ناصر خسرو[1] الذي زار مصر حوالي سنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م" وتنتج مصر عسلاً وسكراً "[2].

كما كانت مصر تشتهر بإنتاج عديدة من الفواكه كالكروم، والموالح (البرتقال، اليوسفي، الليمون) وتزرع في نواحي مريوط والجيزة والفيوم وقليوب وبعض الوجهين القبلي والبحري؛ وقد ذكر الأدفوي [3] أنه كان يغرس بالصعيد أشجار النخيل على شاطئ النيل من الجانبين الشرقي والغربي، وقال إن محصول إسنا[4] من التمر بلغ في إحدى السنوات أربعين ألف إردبّ[5]، وكانت أسوان أكثر نخيلاً من غيرها من جهات الصعيد، وقد بلغ مجموع محصولها من التمر في سنة واحدة ستة وثلاثين ألف إردبّ.[6]

ومن الأسباب التي دعت الفاطميين للاهتمام بالزراعة في مصر، أنهم عمدوا إلى زراعة أشجار الغابات في أنحاء القطر المصري لاستغلال أخشابها، كونهم يستخدمونه في صناعة أسطولها الحربي ومراكبها التجارية، وتعد أشهر مناطق الغابات في العصر الفاطمي البهنسا والأشمونين وأسيوط وأخميم وقوص.[7]

ويظهر اهتمام الفاطميين بالزراعة في مصر بأنهم قاموا بإنشاء إدارة خاصة بها للإشراف عليها ومتابعتها، وتنفيذ المشروعات الكبرى التي تهتم بطرق الري والمصارف للأراضي الزراعية في كافة أنحاء مصر، ومن أهم تلك المشاريع السد أو القنطرة التي تعتبر خليج يخرج

---

(١) رحالة وشاعر وفيلسوف فارسي، اعتنق المذهب الشيعي الإسماعيلي وعمل داعياً له، له كتاب الأسفار أو السفرنامه، الذي دوّن فيه أخبار أسفاره في أرجاء العالم الإسلامي.

(٢) سرور، محمد جمال الدين، **السيادة الفاطمية في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٣٦.

(٣) الأدفوي، جعفر بن ثعلب بن جعفر الشافعي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **الطالع السعيد في أسماء نجباء الصعيد**، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٠.

(٤) مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا أدفو وأسوان ثم بلاد النوبة، وهي على شاطئ النيل من الجانب الغربي في الإقليم الثاني. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٨٩.

(٥) مكيال مستخدم في مصر منذ زمن طويل، وهو مكيال إسلامي استعمل في الوزن والكيل اثناء العصور الإسلامية، الاردب يساوي ٢٤ صاعاً.

(٦) البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ص٩٨.

(٧) حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج٣، دار النهضة المصرية، ٢٠٠٠م، ص٤٠٠.

من النيل لري الأراضي الزراعية في شرق دمياط، وكان في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي وأشرف على تنفيذها أبو المنجا متولي وقد اكتسبت اسمها منه.[١]

سياسة الفاطميين نحو الزراعة في مصر:

كان الفاطميون يحسنون معاملة الفلاحين، فقاموا بتحديد الخراج ولم يتركوه في يد أخرى خارج الدولة، كما كانوا في أشد الحرص على عدم انتزاع الأراضي الزراعية من ملاكها مما أوجد سياسة أمان تبعاً للعهد الذي أعطاه جوهر الصقلي للمصريين وفي نصه: "ولكم علي أمان الله التام العام الدائم المتصل، الشامل الكامل، المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام، في أنفسكم وأموالكم وأهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم".[٢]

أما في تعاملاتهم بالنسبة للأراضي المملوكة الدولة، فقاموا بتوزيعها على بعض الأعوان لهم، وفي حال تنازل الدولة عن استغلالها فإنهم كانوا يقومون باستئجارها للمزارعين نظير مبلغ محدد من المال ويصبح إقطاع استغلال، وغالباً ما كانت تعطى للجنود في العصر الفاطمي.[٣]

وفي عهد وزارة الأفضل بدر الدين الجمالي، تم إدخال بعض التعديلات على الإقطاعات التي كانت تقوم بها الدولة، وذلك نظراً للشكاوى التي كانت تثار من حين لآخر من صغار المقطعين[٤] من قلة الدخول نظراً لقلة الإقطاعات، فقام الوزير الأفضل بحل الإقطاعات وتم إعادة توزيعها بصورة أقرب إلى العدالة الاجتماعية، ولكنه لم يتم الاقتراب من إقطاعات الدولة، فقام بإبقائها في يدي ملاكها ومن قوله في هذا الشأن: "إن كل من كان له ملك، فهو باق عليه لا يدخل في الإقطاع وهو محكم إن شاء باعه وإن شاء أجره"، وكان أكثر المقطعين في ذلك الوقت من الجنود، وقد سمح لهم الأفضل بن بدر الجمالي بأن يستغلوا في إقطاعهم لمدة ثلاثين سنة. وفي ذلك يقول

---

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ/١٤٠٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٣، القاهرة، ١٩١٧م، ص٣٠٥.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، القاهرة، مطبعة بولاق، (د.ت)، ص ٨٥.

(٣) سرور، السيادة الفاطمية في مصر، ص٦٨.

(٤) كان المقطع في أواخر العصر الفاطمي يدفع ضريبة منتظمة عن كل فدان مقدارها دينار وخمسة قراريط. وإذا انقطعت مدة الإقطاع، عليه أن يرد الأرض المقطعة كما تسلمها، ولا ينقل شيئاً من المنشآت التي أقيمت عليها. سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاقتصادي – الاجتماعي في ضوء النمط الآسيوي للإنتاج، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٩م، ص٨٤.

المقريزي: "وكتبت السجلات بأنها باقية في أيديهم إلى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد"[١].

وبالرغم من كون الدولة الفاطمية في مصر أولت اهتماماً كبيراً بالقطاع الزراعي، فقد حدثت العديد من العوارض التي أثرت على تلك النشاطات الزراعية، ومنها العوارض المتتالية كنقص الفيضان لنهر النيل، مما أثر على قطاع كبير من المزارعين في ريهم لأراضيهم، ففي عام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، حل بمصر سبع سنوات تأثرت فيها بشكل كبير بسبب نقص الفيضان، كذلك في تلك الفترة تم زيادة أسعار الحبوب نتيجة قلة المعروض في الأسواق دون تدخل من ساسة الدولة الفاطمية مما أثر على أهل مصر تأثيراً كبيراً وانتشرت الأوبئة، ويذكر للوزير الأفضل بدر الدين الجمالي، أنه عند توليه الوزارة في عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م عمل على إعادة الأمور لنصابها بضبط الأسعار والقضاء على الفاسدين في القطاع الزراعي الذين سببوا تلك الأزمة، مما أعاد الأمور إلى سابق عهدها واستقرت الأوضاع، ونتيجة تلك الأزمة التي عانت منها مصر في تلك الاعوام، قام الفاطميون بشق الترع بصورة مطردة لتعويض المزارعين المتضررين، مما عاد على الدولة بزيادة الواردات وفي عهده وصلت الواردات الزراعية إلى ثلاثة آلاف ألف دينار.[٢]

الصناعة في مصر في العصر الفاطمي:

مدينة القاهرة كانت تعد في العصر الفاطمي من حواضر العالم الحديثة، حيث أنها كانت مركزاً هاماً لصناعة المنسوجات وخاصة الحريرية منها، كذلك قام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بإنشاء دار لكسوة موظفي الدولة بمختلف درجاتهم الوظيفية الدنيا والعليا، كما كانت تصنع بها كسوة الكعبة المشرفة سنوياً.[٣]

ومن أهم مظاهر اهتمام الفاطميين في مصر بالصناعة إدخالهم أساليب جديدة في الصناعة، حيث أن الصناعات شملت كافة شرائح الشعب وليس وظيفتها إمداد الجيوش فقط والأساطيل باحتياجاتها، حيث ظهرت النهضة في صناعة النسيج بإنشاء العديد من المصانع لإنتاج المنسوجات الفاخرة، وتم إنشاء دار الديباج، وكانت الخزانة التي قام بتشييدها الخليفة الفاطمي الظاهر، تشتمل على ثلاثة آلاف عامل نسيج.[٤]

تطور الصناعة في مصر في العصر الفاطمي:

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٠.

(٣) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٣٩.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٦٥.

في العصر الفاطمي تنوعت وتطورت الصناعات بصورة مطردة، حيث بلغت بعض الصناعات من الرقي في مصر أنها كانت تصدر للعديد من البلدان المجاورة، وكانت تمثل دعاية للدولة الفاطمية في مصر، حيث أنها كانت تصدر لبلاد فارس والعديد من بلدان الشام والجزيرة العربية، وكانت تلك المنتجات تعرف باسم المصري.[١]

كذلك تقدمت صناعة المنسوجات الكتانية في مصر حيث كان الكتان متوافر في الأراضي المصرية الزراعية بصورة كبيرة في مناطق دمياط والدلتا، وتعد الفيوم من الأماكن الرئيسية والهامة في صناعة المنسوجات الكتانية بالإضافة إلى دمياط.[٢]

كما تقدمت صناعات الزجاج وكافة أنواع الخزف في العصر الفاطمي في مصر بصورة موسعة، وتعد مدينة الفسطاط من أكبر المراكز التي كان يصنع بها الزجاج، كذلك الإسكندرية وأشمون والفيوم، وقد أشار ناصر خسرو بأن صناعات الزجاج المختلفة الأنواع كانت من المعالم التي تميز الصناعات المصرية، وانتشرت تلك الصناعة في كافة ربوع مصر.[٣]

التجارة في مصر في العصر الفاطمي:

في العصر الفاطمي اتسمت التجارة في مصر بالنشط، حيث كانت القاهرة والفسطاط من أهم مراكز مصر التجارية، بل والخلافة الإسلامية كافة، حيث كان يقيم بتلك المدن الأعيان وأصحاب الإقطاعات الكبيرة مما يؤثر على توافد الناس بصورة موسعة وكبيرة على تلك المدن العمرانية والمراكز التجارية، وتميزت تلك المدن بنشاطها التجاري نظراً لموقعها على نهر النيل وموقعها الوسط بين صعيد مصر والوجه البحري مما يجعلها حلقة اتصال بين كافة البلدان داخل مصر، بالإضافة إلى خروج القوافل التجارية منها إلى الشام وبلاد الحجاز وبلاد المغرب العربي عن طريق البر.[٤]

بالإضافة إلى الفسطاط كانت القاهرة مدينة متحضرة حديثة لكنها لم تؤثر على الفسطاط كمركز تجاري كونها كانت مقراً لكثير من الجنود مما جعلها أقل مكانة من الفسطاط كمدينة تجارية، كما كانت الفسطاط تتمتع برخاء عظيم في العصر الفاطمي، نتيجة كثرة المتاجر والأسواق الموجودة بها، مما استتبعه توافد الكثير من المراكب لنقل البضائع ونقل الناس

(١) متز، آدم، **الحضارة الإسلامية**، ترجمة محمد عبد الهادي، ج١، دار النهضة المصرية القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٦١.

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٢٢٦.

(٣) حسن، محمد زكي، **كنوز الفاطميين**، دار الأمل للطباعة، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٥٠.

(٤) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٤١.

للمعاملات التجارية، ويقول ناصر خسرو في وصفه لها: "إنه كانت بها الأسواق التي تباع فيها جميع أنواع السلع كسوق القناديل الزاخر بالتحف النادرة، وبها أيضاً كثير من الحانات".(١)

كما تمتعت مدينة دمياط بنشاط تجاري واسع، حيث كانت تتميز تلك المدينة عن سائر المدن بالنشاط الصناعي بالإضافة إلى التجاري، كونها ميناء وحيد في شرق البحر الأحمر، مما أصبغ عليها أهمية كبرى تجارياً وعسكرياً وصناعياً، فقامت بها الأسواق الكبيرة لوقوعها عند نهاية طريق القوافل بين البحر الأحمر والنيل، وكان لأسوان أيضاً شأن كبير في التجارة الداخلية بسبب ورود تجارة النوبة والسودان إليها.(٢)

أما التجارة الخارجية فقد توسعت مع كافة بلدان العالم، حيث أن مصر كانت تستورد الكثير من الغلال من الصين والهند، بالإضافة إلى استيرادها الأخشاب والحديد من البلدان الأوروبية، وارتبطت بالعديد من العلاقات التجارية مع دول أسيوية وأوروبية أخرى نتيجة عمليات التبادل التجاري فيما بينهم.(٣)

وكان للبحر المتوسط دور كبير في تنشيط عملية التجارية، حيث كان بوابة مصرية على أوروبا، وإثر ذلك أصبحت مدينة الإسكندرية من المراكز الرئيسة للتجارة، فتنتقل منها البضائع الآسيوية إلى أوربا وترد إليها السفن الأوربية محملة بالسلع اللازمة للصناعة المصرية، ولم تكتف مصر بأن تكون طريقاً لمرور الغلات الآسيوية، بل كان لديها ما تصدره إلى البلاد الأوربية كالنطرون والشب والمنسوجات على اختلاف أنواعها.(٤)

ونتيجة حركات النشاط التجاري بين مصر وأوروبا وخاصة بلاد البحر المتوسط، قامت بين مصر بين العيد من المدن الإيطالية، خاصة جنوه والبندقية علاقات تجارية وثيقة، فكانت السفن والمراكب الكبيرة تنقل الخشب والحديد إلى الموانئ المصرية قادمة من البندقية، كما أقدم تجار جنوه على التعامل مع الفاطميين في النصف الأخير من القرن الحادي عشر، وصارت سفنهم تبحر إلى الموانئ المصرية وقد استجاب بعض الخلفاء في أواخر العصر الفاطمي لرغبة هؤلاء التجار في الحصول على أمان لهم ولسفنهم تشجيعاً لهم على الاتجار مع بلادهم.(٥)

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامه، ص٥٨.

(٢) البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص١٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٤٣.

(٥) حسن، الدولة الفاطمية، ص٥٠٣.

ويحسب للفاطميين أنهم وبالرغم من الخلافات والتنازعات السياسية بينهم وبين الدولة البيزنطية، إلا أنهم حافظوا على العلاقات التجارية ولم تنقطع تلك العلاقات، فكانت حركة التجارة دائرة فيما بين الدولتين على أساس المنفعة العامة وتبادل الاحتياجات، وقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو أن كثيراً من السلع التي رآها وأعجب بها في أسواق مدينة مصر كانت من واردات بلاد الروم.(١)

ومن أهم مظاهر اهتمام الفاطميين بالتجارة والعمل على تنشيطها وتوسعها، أنهم أذنوا للتجار الإيطاليين وغيرهم من التجار الأوروبيين بإنشاء الفنادق الخاصة بهم، فكان لكل جالية أجنبية بالإسكندرية فندق، كذلك أقيمت في مصر في ذلك العصر الوكالات وهي كالفنادق(٢) وينزل بها التجار القادمون من بلاد الشرق الإسلامية، فيذكر بن ميسر(٣) أن الوزير المأمون البطائحي(٤) أمر سنة ٥١٦هـ/١٢٢٣م ببناء وكالة بالقاهرة لمن يصل من العراق والشام من التجار.

وكان هناك بجانب المنشآت التي أعدت للتجارة أبنية أخرى أطلق عليها اسم القياسر، وهي عبارة عن مجموعة من المباني العامة وبها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن، وكان في بعض القياسر مساجد للتجار المسلمين، وعلوها رباع يقيم فيها الصناع والتجار بأجر وقد أنشئ بمصر في العصر الفاطمي عدد قليل من هذه القياسر.(٥)

المعاملات التجارية في مصر في العصر الفاطمي:

اتسمت النظم التجارية في الخلافة الإسلامية بعدم التوحد نتيجة العوامل الجغرافية وعدم وجود نظام موحد للحكم، فكانت العملة في مصر والشام بالدينار الذهبي، أما أرض فارس

(١) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٤١.

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٩٣.

(٣) ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت٦٧٧هـ/ ١٣٧٨م)، **تاريخ مصر**، مطبعة هنري ماسيه، القاهرة، ١٩١٩م، ص٦٢.

(٤) نشأ المأمون فقيراً صعلوكاً، فكان حمالاً في السوق بمصر، فدخل مرة إلى دار الأفضل أمير الجيوش مع الحمالين، فرآه الأفضل شاباً مليحاً، خفيف الحركات، فقال: من هذا؟ قال بعضهم: هذا ابن فلان، فاستخدمه فراشاً مع الجماعة، فتقدم وتميز، وترقى به الحال إلى الملك، وهو الذي أعان الآمر بالله على الفتك بأمير الجيوش، وولي منصبه، وكان شهماً مقداماً، جواداً بالأموال، سفاكاً للدماء، عضلة من العضل، ثم إنه عامل أخا الخليفة الآمر على قتل الآمر، ودخل معهما أمراء، فعرف بذلك الآمر، فقبض على المأمون، وصلبه سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، ط٣، ج١٩، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٥٣.

(٥) البراوي، حالة مصر الاقتصادية، ص٢٧١.

والعراق فكانت تعرف العملة هناك بالدراهم الفضية، ولم يختلف التعامل في مصر بعد الفتح الفاطمي لها واستمر الدينار الذهبي في التعاملات هو العملة الأساسية، وفي بداية عهد الفاطميين عمل القائد جوهر الصقلي على سبك دنانير جديدة وأطلق عليها الدنانير المعزية نسبة إلى الخليفة المعز، كما ترك الدنانير الراضية في الأسواق وهي مسماها نسبة إلى الخليفة العباسي الراضي، ولما عهد المعز لدين الله الفاطمي في أوائل سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٤م إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن بالإشراف على الخراج، صار ابن كلس يجبي خراج الدولة بالدينار المعزي، فانحطت بذلك قيمة الدينار الراضي. ومن ذلك يتضح لنا كيف حملت الحكومة الفاطمية أهالي البلاد المصرية على التعامل بنقودها.[١]

كما قامت الدولة الفاطمية بإصدار دراهم جديدة للتعامل بها وذلك في عهد الحاكم بأمر الله، وكان مقدار الثمانية عشر درهماً مساوي للدينار المعزي أو الراضي، وكان المغزى من ذلك سهولة ويسر التعامل في السلع قليلة الثمن، وبذلك كانت مصر من أوائل الدول التي تعاملت بالدينار الذهبي والدرهم الفضي.[٢]

الحسبة في العصر الفاطمي في مصر:

تعد وظيفة المحتسب من الوظائف القديمة في المجتمعات الإسلامية بمختلف بلدانها، بل يؤرخ ابن حزم لذلك بأن العرب عرفوا وظيفة المحتسب في العصر الجاهلي، حيث كان حكيم بن أمية بن حارثة محتسباً بمكة في الجاهلية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في البيع والشراء.[٣]

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر الباعة بالأسواق بعدم الغش في الميزان أو البضاعة المباعة والمشتراة، وقد تطورت تلك الوظيفة تبعاً لتطور المجتمعات الإسلامية في مختلف بلدان الخلافة الإسلامية.[٤]

ووظيفة المحتسب وجدت في مصر قبل العصر الفاطمي وكان يسمى من يشغلها (صاحب السوق)، وهي وظيفة تعود إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين، أما في العصر الفاطمي فقد بدأت تلك الوظيفة تأخذ منحى أخر في بدايات الحكم الفاطمي لمصر، حيث أنها كانت تنسب إلى علماء

---

(١) حسن، الدولة الفاطمية، ص٥٤٩.

(٢) الكرملي، انستانس ماري، النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٥٨.

(٣) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) **جمهرة أنساب العرب**، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٦٣.

(٤) الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الباز العريني، ١٩٤٦م، ص٢٣٠.

المسلمين أو الأعيان، حيث كان ينظر الفاطميين لها نظرة دينية، وكان المحتسب عند تعيينه لدى السلطة الفاطمية يخرج له سجل من ديوان الإنشاء الفاطمي ويقرأ ذلك السجل على العامة في جوامع القاهرة والفسطاط ويطاف به في موكب للتعريف بصاحبه.[١]

وفي بعض الأحيان كان الفاطميون يسندون تلك الوظيفة إلى صاحب الشرطة، أو تضاف إلى إحدى ولايتي القاهرة أو الفسطاط، وحدث في بعض الأحيان أن أسند الفاطميون وظيفة المحتسب إلى كبار التجار والأعيان من أصحاب الخبرة في شئون الأسواق، وذلك ضماناً لحُسن تأدية الأعمال المنوط بهم تنفيذها، وكانت تلك الوظيفة من أهم مهامها مراقبة الأسواق وكافة النشاطات المتعلقة بها من قبل التجار أو أرباب الحرف، بالإضافة إلى إسناد مهام مراقبة الآداب العامة للمحتسب ومنع تعرض الشباب للنساء، ومراقبة نظافة الأسواق والطرقات ومراعاة الرفق بالحيوان المستخدم في نقل البضائع، ومراقبة المكاييل والموازين وضبط عيارها منعاً للغش.[٢]

العلماء ودورهم في الاقتصاد الفاطمي:

من أهم العلماء الذين برز لهم دور واضح في مجال الاقتصاد محمد بن أحمد بن محمد العميدي أديب نحوي لغوي مصنف سكن مصر، وكان العميدي يتولى ديوان الترتيب وعزل عنه، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر في أيام المستنصر، استخدم فيه عوضاً من ولي الدولة ابن خيران الكاتب في صفر سنة (٤٣٢هـ/١٠٤١م) وله تصانيف في الأدب، منها كتاب تنقيح البلاغة في عشر مجلدات، وكتاب الارشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور، كتاب انتزاعات القرآن، كتاب العروض، وكتاب القوافي كبير، والإبانة عن سرقات المتنبي[٣].

قال علي بن مشرف: أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال أنشدنا أبو سعد محمد بن أحمد العميدي لنفسه:

إذا مـا ضـاق صـدري لـم أجـد لـي   مقـــر عبــــادة إلا القرافــــه.

لــئن لــم يــرحم المــولى اجتهــادي   وقلــة ناصــري لــم ألــق رافــه[٤]

---

(١) المقريزي، أحمد بن علي عبد القادر أبو العباس الحسيني (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، ج٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٧١.

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٦٣.

(٣) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) **معجم الأدباء**، ط١، ج٥، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٣٤٨-٢٣٤٩.

(٤) الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٢٣٤٩.

وفي عهد الخليفة الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) عرض منصب الحسبة على العالم محمد بن أحمد العميدي في رجب سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) وكان قد سبق أن تولى ديوان الترتيب[١] وعزل عنه، فاستعفي منها وامتنع، وقال كنت بالأمس جليس أمير المؤمنين، وصاحب خريطته، أصير اليوم محتسباً؟!! لم أكن لأفعل[٢]، - وهنا لا بد من ذكر دور المحتسب في العصر الفاطمي بعجالة-، كان المحتسب يقوم بالعديد من المهام كما أوردنا، ولكنه كان يستدعي مجموعة من العرفاء يطلق عليهم (عرفاء السوق)[٣]، وكان المحتسب يختارهم وفقاً لخبراتهم في الصناعات المختلفة لكي يقوم على مراقبتها في الأسواق، ويكون له من الشروط التي تجعله مهيأ للوظيفة بجانب الشرف والأمانة، أن يكون خبيراً في مهنته، كما كان له من الحقوق أن يمارس مهنته بجانب الوظيفة ومما يستدل على ذلك قول المقريزي: وكان لعريف الخبازين دكان يبيع فيها الخبز"[٤]، كما كان له من السلطة أن يفرض العقوبات المالية على المخالفين، وكانت لهم من السلطات الخاصة على أصحاب الحرف الخاصة بهم أن يكونوا مثل حلقة الوصل فيما بينهم وبين أجهزة الدولة المختلفة.[٥]

كما أن المحتسب كان له دور آخر بجانب الإشراف على أسواق القاهرة والفسطاط، فكان له يوماً بعد يوم أن يجلس بجامعي القاهرة ومصر، بالإضافة إلى قيامه بتعيين نائب له في كل سوق نظراً لكبر حجم الأسواق وكثرة النشاط التجاري بها.[٦]

كما كان من أهم مهام المحتسب أن يقوم باستدعاء الباعة إلى دار العيار والتي كان فيها يتم ضبط المكاييل والموازين للكشف عليها، وكانت أوامر الخليفة الفاطمي بعدم أخذ رسوم على تلك العملية حتى يشجع التجار والباعة على الذهاب إلى تلك الدار.[١]

---

(١) ديوان الترتيب يقال له في غير هذه الدولة صاحب البريد فكان يكاتب متولى هذا الديوان بالأخبار بمطالعات تصل إليه مترجمة بمقام الخليفة فيعرضها من يده ويجاوب عنها بخطه. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ١٩٥.

(٢) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص٣٣.

(٣) أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج٥، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٠ ص١٨٤.

(٤) المقريزي، أحمد بن علي عبد القادر أو العباس الحسيني (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) إغاثة الأمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٨.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٣، ص١٠٠.

(٦) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٦٣.

عند قدوم جوهر الصقلي كانت مصر تمر بأزمة اقتصادية خطيرة لم يسبق لها مثيل في التاريخ المصري، وهي مشكلة كانت تتفاقم منذ سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م واستمرت لمدة ثلاث سنوات بعد الفتح الفاطمي، فاهتم جوهر في بداية الأمر بالقضاء على المجاعة واستتباب النظام ومعالجة الأمور بسخاء نسبي(٢)، ويبدو أن العالم في هذه الفترة الذي سيكون له دور في الشأن الاقتصادي سليمان بن عزة الذي قصرت المصادر سواء كانت الفاطمية أو غيرها من كتب التراجم في أن تترجم له، وهو ثاني شخص تولى الحسبة في زمن الفاطميين، وكان من أهم اجراءاته في سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م أن ضرب جماعة من الطحانين وطاف بهم البلد، وجمع القماحين وسماسرة الغلال في يوم واحد، ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحدة، فكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه، ومع ذلك فقد استمر الغلاء إلى سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م بسبب قصور مد النيل، مما أدى إلى اشتداد الوباء وتفشي الأمراض وكثرة الموت إلى أن انحل السعر وأخصبت الأرض، وظهرت بوادر الرخاء سنة ٣٦١هـ/٩٧١م(٣).

وبعد أن رفض العميدي منصب الحسبة استحضر دواد بن يعقوب الكتامي، فخلع عليه ثوب مثقل وعمامة، وقلّد الحسبة والأسواق والسواحل، ونزل في موكب عظيم، وبين يديه اثنتا عشر جنيبه تحيط به إلى مجلس الحسبة بمصر، فنظر في الأسعار عوضاً عن ابن غرة فاستقامت الأحوال، وشق البلد حتى انتهى إلى مجلس الحسبة بمصر فجلس فيه(٤).

ويذكر المسبحي خبراً يفيد أن داوود بن يعقوب الكتامي قد استخلف على الحسبة بمصر صهر (ابن نصر بن بونصر الكتامي) ولم يحدد تاريخ ذلك غير أن ابن نصر هذا توفي في رمضان سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م(٥)، مما يشير إلى أن المحتسب عندما تتعدد مناصبه يكون له أن يستخلف من يثق في مقدرته على القيام بمهام الحسبة.

وبعد مضي ما يقرب من عام على تولي داوود بن يعقوب الحسبة جرت محاولة لعزله عن منصبه، ولكن خليفته الذي جاء بعده كان سيء التصرف واتخذ بعض القرارات التي أدت

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٦٤.

(٢) النويري، شهاب الدين أحمد (ت٧٣٣هـ/١٢٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، ط١، ج٢٨، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤ ص١٣١. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٢٢٥.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج١، ص١٢، ١٢٨. المقريزي، إغاثة الأمة، ص١٣-١٤.

(٤) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص٣٣. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص١٣٥.

(٥) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص٣٣. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص١٣٥.

لاضطراب الأسواق واختفاء أهم السلع وهو الخبز، فيروي المقريزي أنه في رجب سنة ٥١٤هـ/١٠٢٤م خلع على (بقي الخادم الأسود) ثوب مثقل وعمامة قاض[١] وسيف من الذهب، وقلد الشرطتين بمصر ونظر في الحسبة مضافاً إليهما، فأمر أن يباع الخبز الجشكار[٢] كل خمسة أرطال بدرهم والحواري[٣] أربعة أرطال بدرهم، فغلقت الطواحين والحوانيت جميعاً واختفت الأخباز من الأسواق، فلما كان الغد أعيد داوود بن يعقوب الكتامي للحسبة، وصرف بقي الخادم الذي أقام بمنصبه يوماً واحداً وانصرف، فنادى داوود بن يعقوب في الأسواق بإطلاق أسعار الأخباز وألغي التسعير الذي كان سبباً في اضطراب الأسواق[٤].

وكان لخبرة داوود بن يعقوب في وظيفة الحسبة أثرها في تفادي الأزمة التي سببها بقي الخادم بقراراته العنيفة، لذلك كان على داوود بن يعقوب أن يتشدد في مراقبة الأسواق بعد أن أطلق الأسعار للتجار، حتى لا يتمادى البعض منهم في رفع الأسعار أو البخس في الميزان وهو رفع آخر للأسعار ولكن بطريق غير مباشر، فيروي المسبحي في أحداث ذي القعدة سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م أن المحتسب ضرب جماعة من الخبازين ضرباً وجيعاً، وذلك أنه وجد موازينهم للأرطال باخسة، وصنجهم التي يزنون بها الدراهم زائدة) [٥].

ويورد المسبحي مثالاً آخر في نفس السنة المذكورة سابقاً أن داوود بن يعقوب المحتسب ضرب رجلاً حلاوياً يسكن على باب زقاق القناديل في حانوت نظيف، وطاف به على جمل بسبب أنه وجد أرطاله ينقص كل رطل منها أوقيتين وكل صنجة يزن بها الدراهم تزيد ثمن درهم) [٦]، إن هذه الأمثلة ما هي إلا نماذج على النشاط الزائد الذي كان يمارسه ابن يعقوب المحتسب وأعوانه في الأسواق للمحافظة على حقوق الناس في الميزان.

---

(١) عمامة القاضي كانت تمتاز بكبر حجمها ولها ذؤابة مرخاة في آخرها، وكان التصريح بلبس عمامة على غرار عمامة القاضي يعد تشريفاً للشخص المسموح له بذلك. المقريزي، المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٧١. الخطط، ج١، ص٤٤٠.

(٢) الجشكار أو الخشكار هو الخبز المصنوع من الدقيق الخشن الذي لم تنزع نخالته. الأندلسي، أحمد بن عبد ربه (ت٣٢٧ه/٩٣٨م) العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ص٦٩.

(٣) الحواري الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق وكل ما حور من طعام أي بيض. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، دار الدعوة، اسطنبول، ١٩٨٩م، ص٢٠٦.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص١٥١.

(٥) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص١٩١.

(٦) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص١٩٩.

ونذكر نموذجاً آخر عن مقدرة هذا العالم الجليل والمحتسب في آن واحد بعلاج الأزمة الاقتصادية سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م (حيث خرج الخليفة الظاهر من قصره وشق مدينة مصر، وخلفه المقودون والمصطنعة، وبين يديه الرقاصون، فاستغاث الناس بضجة واحدة: الجوع يا أمير المؤمنين، الجوع؛ لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك؛ فالله الله في أمرنا. فارتجت البلد بالضجيج)[١]، وتمادت الجماهير في غضبها وحمّلت الخليفة مسؤولية ما يعانونه من الجوع، ونزل رجل تحت قصر الخليفة (وشتمه أقبح شتم، وبالغ فيما شتم به، فضربه الرقاصون حتى سقط، وجروه برجله وسحبوه إلى السجن بالشرطة، فضربه متوليها ثلاثين درة واعتقله) [٢]، ويبدو أن الخليفة قد صدم من صيحات الجماهير الغاضبة بسبابهم، ولم يجد من يلقي عليه مسؤولية الحالة الاقتصادية المتدهورة إلا المحتسب الذي استدعي إلى القصر ووجه إليه تهديداً عنيفاً وقيل له حسب رواية المسبحي(:قد قتلت الناس جوعاً، وخربت البلاد على مولانا وهذا خطك بضمانك عمارة البلد بالأخباز والأقماح إلى حين إدراك، فوعد بتلافي الأمر)

ويفهم من النص المحتسب كان قد أقر على نفسه كتابة بالعمل على توفير الخبز والقمح، حتى يظهر في الأسواق المحصول الجديد ولكنه كاد يفشل في تنفيذ ما أقر به في ظل عدم وجود سياسة دائمة لتلافي أخطار نقص النيل، بالإضافة إلى عدم التزام التجار في الأسواق بالتسعير المعتدل الذي تفرضه الدولة للسلعة الأساسية.

ويبدو أن خطة المحتسب قد نفّذها قبل استدعائه إلى القصر فقد نزل إلى الأسواق ومعه السعدية[٣]، وأحضر حمالي القمح إلى المخازن والسماسرة، فضرب بعضهم بالدرة وهددهم، وقال لهم: (اكتبوا لي مخازن البلد، فكتبوا له مائة وخمسين مخزناً قمحاً فوضع الطوابع عليها، وقال إن امتدت يد إنسان إلى شيء منها قطعت) [٤].

وهكذا تمكن المحتسب العالم عن طريق التحري والتهديد أن يكشف الأماكن التي يخفي فيها التجار الغلال، وختم عليها ومنع أصحابها من التصرف فيها وبعد تهديده في القصر، أمر بإطلاق القمح من هذه المخازن، ولم تكن هناك نية مصادرة مخازن التجار، ولكنه قام بتسعير الدقيق

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٥.

(٣) السعدية فرقة من الحرس الخلافي كانوا يختصون بركاب الخليفة ويحملون سيوفاً محلاةً بين يديه، وقد جرت عادتهم في أيام الحاكم بأن يتولوا قتل من يأمر بقتله، ويبدو أن المحتسب قد استخدمهم في تلك المهمة لما كانوا يتسموا به من الشراسة والقسوة حتى يتمكن من إدخال الرعب في قلوب التجار. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص١٢٧.

(٤) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص١٩٣. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص١٦٥.

والخبز، وكان تسعير الخبز رطلين ونصف بدرهم، وهو سعر مرتفع بالقياس للأسعار السابقة، ويظهر أنه بالرغم من هذه الإجراءات لم تسم مشكلة نقص الخبز تماماً، وذلك لنقص المعروض من القمح فيقول المسبحي عن ذلك: (فسكن الناس لذلك قليلاً) [١]، ثم إن المحتسب العالم استصدر سجلاً من القصر بهدف وقف هذه الموجة من الغلاء ولتحسين الأسعار، فاستصدر السجل وقرأه على الناس وكان يتضمن تنازل الدولة عن جميع المكوس التي تحصّلها على سائر أصناف الغلات وعن التجار:(رفقاً من أمير المؤمنين برعيته، وأن توضع مكوسها عما يرد منها إلى سواحل مصر، وأن يبيع الناس كما يؤثرون بما أطعم الله ورزق بغير تسعير) وقرئ هذا السجل في شوارع مصر فأصبحت الأخباز كثيرة متوافرة في الأسواق[٢].

ويبدو أن الرقابة التي كان يقوم بها المحتسب العالم تزداد يوماً بعد يوم خوفاً من التلاعب في الدقيق وإطلاق العنان لأسعاره ومصدرنا في ذلك المسبحي الذي يكاد يعطينا تقريراً يومياً عن أحوال مصر فيقول: (وفي يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م ضرب المحتسب جماعة من الدقاقين بالدرة، وطاف بهم على الجمال في شوارع مصر وكان عدتهم اثنين وعشرين رجلاً وذلك على الرفع في الأسعار، وسواد الأخباز، وفساد الدقيق وإخلاطه بالطفل المسحوق) [٣].

نقابة الطالبيين:

كما نشير في هذا المجال إلى نقابة الطالبيين ويمكننا القول أن من تولى الإشراف على شؤونها هم العلماء المنتسبين إلى آل البيت، وكان يتولى الإشراف على هذه النقابة أكبر علمائهم وأجلّهم قدراً، يسهر على صحة الأنساب ويثبتها، ويرعى شؤونهم ويقضي مصالحهم ويعود مرضاهم، ويسير في جنائزهم ويسعى في حوائجهم، ويعمل على توثيق أواصر المحبة بينهم، وكان النقيب أسوةً بأصحاب المناصب الدينية يعيّن بمرسوم (سجل خاص) [٤]، فمثلاً نجد في عصر الحاكم بأمر الله (أنه قد خلع على الشريف أبي الحسين علي بن إبراهيم المرسي لنقابة الطالبيين وحمل على فرس، وقرئ سجله على في القصر والجامع) ولما توفي سنة

(١) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٦.

(٣) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص١٩٦. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص١٦٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص٣٨.

٤٠١هـ/١٠١١م خلع على أبي الحسن علي بن أحمد الزيدي وقرئ له سجل بأن يخلفه في تولي نقابة الطالبيين[(١)].

وعرفت هذه الهيئة في العصور المتأخرة بنقابة الأشراف واتسع نطاق اختصاصها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تشمل سائر من يدّعون الانتساب إلى آل البيت وغيرهم من أكابر الصحابة، ثم ننتقل إلى الثراء الذي كان يتمتع به الخلفاء الفاطميين المتمثل بالقصور وفخامتها وروعة بنائها، ومحتويات خزائنها وضخامة حاشيتها ونفقاتها، وعن مواكب الخلفاء الفاطميين، وعظمتها وبذخها، هذا بالإضافة إلى ما امتازت به الخلافة الفاطمية من طوال عهدها من الجود والبذل الغامر، وإذا كانت الموارد الشرعية المتمثلة بالصدقات[(٢)] والأخماس[(٣)] هي الموارد الرئيسة للدولة فمن غير الممكن أن تحقق هذا الثراء، ولكن السؤال الذي يتبادر للأذهان هنا كيف استطاعت الدولة الفاطمية أن تحقق هذا الثراء؟ أو بعبارة أخرى بما أن الدولة الفاطمية كانت تحكم باسم المذهب الشيعي ما هي الفتوى التي اعتمدت عليها في هذا المجال؟؟.

لقد انتهى علماء الشيعة إلى القول أنه يجب على جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس ما غنموه في كل عصر إلى إمام ذلك الزمان من أهل البيت، مع ما يجب عليهم من الزكاة في أموالهم، وهنا يتقدم إلينا علماء الشيعة الفاطميين بتفسير خاص للغنائم، فالغنيمة في رأيهم ليس هو فقط ما أخذ من أيدي المشركين خاصة، بل إن كل كسب كسبه المرء فهو غنيمة، وعمدتهم في هذا التفسير هو الإمام جعفر نفسه إذ يقول:

---

(١) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٨٦.

(٢) الصدقات يعتمدون في تقريرها على قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، والمفروض أن تؤدى هذه الصدقات للنبي والأئمة من أهل بيته، لا أن تكون هبة وطعمة لهم بل باعتبارهم أمناء عليها، يقبضونها من أهلها ويضعونها في مواضعها وهي محرمة عليهم وعلى أهل بيوتاتهم، وحلال لسائر المسلمين من غيرهم. الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤١م) الكافي في علم الدين، مكتبة قم، طهران، ١٩٧٥م، ص٣٥٤.

(٣) خص الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة أهل بيته بالأخماس التي رتبها الله في أموال عباده المؤمنين في قوله تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾** وقد فسر الإمام جعفر ذلك بأن يكون الخمس لأهل البيت خاصة لا يشاركهم فيه أحد، ويشترك أهل البيت مع بقية الناس في أربعة أخماس الغنائم فيما شهدوه معهم، أما الخمس الخاص بهم فيخصص لأيتامهم وفقرائهم ومساكينهم، وأنه بعد وفاة الرسول قد عاد هذا الخمس إلى الإمام من أهل بيته، يُعطى منه أهل بيته وقرابته الذين يراهم أهلاً لذلك. الكليني، الكافي في علم الدين، ص٣٥٥.

(أوجب الله تعالى لنا الخمس في أموال عباده المؤمنين وجعله لنا حقاً عليهم، فمن منعنا حقنا ونصيبنا في ماله لم يكن له عند الله من حق ولا نصيب)، والخلاصة أن الغنيمة عندهم هي أي شيء كسبه المرء أو أفاده بأي صورة مشروعة، وأنه يجب على كل مؤمن أن يخرج الخمس مما كسب أو أفاد وقت تحققه ويدفعه إلى الإمام، وما تبقى بعد ذلك فعليه أن يؤدي عنه الزكاة في كل عام، وأداء الزكاة أمر واجب، ومن حق الأئمة أن يجبروا الناس على القيام به[١].

إن هذه الموارد التي خصّها علماء الشيعة بالذكر هي الموارد الدينية المحضة، ولكن الدولة الفاطمية كانت كسائر الدول الإسلامية المنظمة، تعتمد في دخلها العام على الموارد التقليدية المأثورة، وأول هذه الموارد الثابتة الخراج، وهناك بعض المعلومات المفيدة عن حصيلة الخراج في عهد الدولة الفاطمية ففي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م وهي سنة التوسع الفاطمي جبى جوهر من الخراج ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف دينار، وفي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م في عهد المستنصر بالله بلغت حصيلة الخراج مليونين وثمانمائة ألف دينار، وبلغت بعد استيلاء بدر الجمالي على السلطة في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ثلاثة ملايين ومائة ألف دينار، وقدّر الخراج في عهد ولد الأفضل بخمسة ملايين دينار، وثاني هذه الموارد في الأهمية هو المكوس المفروضة للصادر والوارد، وكانت الثغور ومداخل البلاد وهي دمياط ورشيد وتنيس والإسكندرية وعيذاب وأسوان هي أهم مراكز الجباية على تجارة الوارد الأجنبية، وأهمها جميعاً ثغر الإسكندرية، وكانت نسبة الرسوم على الوارد تبلغ عشرين في المائة من قيمة البضائع، ويتبع هذه الضريبة ضريبة العشر وهي تؤخذ على بضائع التجار المسلمين، ثم إن هذه المكوس كانت فضلاً عن ذلك تفرض على كثير من أنواع النشاط التجاري والمهني في الداخل، ولا يكاد يفلت منها باب من أبواب الكسب، وتفرض جزية الجوالي وهي الجزية القديمة، على الذميين وكان لها في العهد الفاطمي ديوان الخاص، وكان هنالك أيضاً ما يتحصل من فرق السكة (العملة)، ومن الأحباس الخيرية، وفضلاً عن ذلك فقد كان للخلافة الفاطمية موارد أخرى خاصة بها، من الهبات والأتاوات التي يُطلب إلى المؤمنين أداؤها، مثل ضريبتي النجوى والفطرة وهما ضريبتان اختياريتان إلا أن المؤمنين كانوا يتنافسون في أدائهما بالرغم من ضآلة مقدارهما فقد كان الأغنياء منهم يدفعون باسمها مبالغ طائلة لخزانة الدعوة.

---

(١) ابن حيون، النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) **الهمة في آداب اتباع الأئمة**، بعناية محمد كامل حسين، مطبعة الاعتماد، القاهرة (د.ت) ص٦٨-٧٢ = دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام، ج١، القاهرة، ١٩٥١م، ص٤٥٠-٤٥١.

من ناحية أخرى يذكر لنا الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م أن مدينة القاهرة المعزية كانت تضم حينذاك نحواً من عشرين ألف منزل وهي كلها للخليفة الفاطمي يومئذ، وأن المنزل المتوسط ذي الطبقات الأربعة يُؤجر بنحو أحد عشر ديناراً في الشهر، وأن الدكاكين وهي تبلغ أيضاً نحو عشرين ألف دكان كانت أيضاً كلها ملك للخليفة، ويؤجر الدكان منها بنحو دينارين إلى عشرة في الشهر[١]، وهذا كفيل بأن يحقق للخليفة زهاء مليوني دينار في العام هذا بالإضافة إلى ما كان يملكه الخليفة من ضياع وبساتين عديدة في مختلف أنحاء الدولة الفاطمية، لا شك أن ما ذكره الرحالة ناصر خسرو من أملاك وضياع الخليفة الفاطمي لا يمكن أن نرجعها لفتوى عالم من علماء الدولة الفاطمية، إذ أن سمة الثراء والبذخ لم تقتصر على الخلفاء الفاطميين وحدهم كما هو معروف في التاريخ الإسلامي.

ولكن هناك نص شعري للعالم الفقيه الشاعر عمارة اليمني وقد شهد آخر مظاهر بذخ الدولة الفاطمية وأدرك نهايتها وسقوطها، وكأنه في هذه القصيدة يرثي الدولة الفاطمية ويتحسر على مظاهر الأبهة والفخامة التي كانت تنعم بها فيقول:

لهفي ولهف بني الآمال قاطبة ... على فجيعتها في أكرم الدول
قدمت مصر فأولتني خلائفها ... من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ... كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما ... رأس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة ... وخلة حرست من عارض الخلل[٢]

أما بالنسبة لما يتحصل عليه علماء الدولة الفاطمية من رواتب وجرايات، فقد ذكر ابن الطوير والمقريزي والقلقشندي أن قاضي القضاة وداعي الدعاة كان كل منهما يتقاضى راتباً شهرياً مائة دينار، وقرّاء الحضرة والشعراء يتقاضى كل منهم تبعاً لرتبهم بين عشرين ديناراً وعشرة دنانير[٣].

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامه، ص٧٦-٨٨.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٣، ص٦٠٤. المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٤٤٥.

(٣) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص٨٣-٨٥. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٣، ص٤٩١. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص٣٣٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٤٠١.

وشهدت سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م أول محاولة لترتيب درس منظم في جامع القاهرة الذي عرف فيما بعد باسم الجامع الأزهر، فقد استأذن الوزير يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله في تعيين جماعة من الفقهاء بجامع القاهرة الأزهر، كان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً يرأسهم الفقيه أبو يعقوب قاضي الخندق، كانوا يتحلّقون كل يوم جمعة بجامع القاهرة بعد الصلاة، ويتكلمون في الفقه حتى وقت العصر، ورتّب لهم العزيز بالله أرزاقاً وجرايات شهرية، وأقام لهم داراً للسكنى بجوار الجامع الأزهر، وخلع عليهم في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات تشريفاً لهم وتكريماً، كما أجرى عليهم الوزير ابن كلس أيضاً أرزاقاً من ماله الخاص[١]، يقول المقريزي: (وهي أول مرة يقام فيها درس في مصر بمعلوم جار من قبل السلطان) [٢] ، ويضيف المسبحي أنه ما إن اختط جامع الخطبة (الحاكم) في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م حتى تحلّق فيه الفقهاء الذين كانوا يتحلّقون في جامع القاهرة يعني الجامع الأزهر[٣].

ويُذكر أنه لما تولى يعقوب بن كلس الوزارة للعزيز بالله سنة ٣٦٨هـ/٩٧٩م رتّب في العام التالي في داره مجالس للعلماء والفقهاء والشعراء والمتكلمين وأجرى لجميعهم الأرزاق وكان يقرأ على الناس الرسالة الوزيرية، وهي كتاب ألّفه في فقه الاسماعيلية يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله وابنه العزيز بالله[٤].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٣، ص٣٦٣. المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٢٧٣-٣٤١..

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٣٦٣.

(٣) المسبحي، أخبار مصر في سنتين، ص٢٧٧.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، ص٢٠٢-٣٤١-٣٦٣.

الفصل الثالث

العلماء والمجتمع خلال العصر الفاطمي

الفصل الثالث

العلماء والمجتمع خلال العصر الفاطمي

تعد الحياة الاجتماعية لأي مجتمع هي ملامح مناخ البيئة التي تتفاعل فيها مجموعة الأفراد والجماعات الذين يعيشون داخل هذا المجتمع، وتبعاً لذلك فإن هؤلاء الأفراد والجماعات ينشؤون في تلك البيئة مشتملين على طوائف متعددة من مظاهر سلوك واتجاهات فكرية وعقائدية تختلف فيها دوافعهم في أشياء وتتفق في أشياء، تحت مظلة من نظم حياة سياسية وثقافية، وفي ظل هذه النظم واندماجها تبلورت الكثير من العادات والأعراف والتقاليد ومظاهر السلوك، وأفرز المجتمع الواحد جوانب أُخرى منها ما هو متعلق بالحياة الدينية، ومنها ما هو متعلق بالحياة الفكرية والثقافية وغيرها من الجوانب، والمجتمع في العصر الفاطمي في مصر بكل فئاته وطبقاته يعد مجتمعاً طائفياً بالدرجة الأولى، حيث أن الحكام ينتمون إلى طائفة والشعب ينتمي إلى طائفة أخرى مما ولد صراعات فيما بينهما انعكس على الحياة الاجتماعية من تكوين طبقات عنصرية طائفية، ومن أهم الملامح التي تميز بها المجتمع الفاطمي ظاهرة البذخ والاحتفالات الدينية الخاصة بطائفة الشيعة، كذلك التمايز بين الطبقات من حيث الرواتب، مما استتبعه تكون الثروات لدى الطبقة الحاكمة ووزرائهم وكبار رجال الدولة، مما أوجد مظاهر اضطرابات كثيرة في تلك الحياة.

أود أن أشير في بداية هذا الفصل المتعلق بالحياة الاجتماعية ودور العلماء فيها، أنه كان هناك علماء معاصرين للدولة الفاطمية قد نقلوا لنا بقصد أو غير قصد صوراً متعددة للحياة الاجتماعية، وهذا يشير إشارة واضحة إلى أن العلماء جزء من المجتمع ينقلون مشاكله ويصفون مظاهر الحسن والجمال.

فهذا الرحالة الفارسي ناصر خسرو مكث في القاهرة ثلاث سنوات ٤٣٨هـ/١٠٤٧-٤٤١هـ/١٠٥٠م وسجّل لنا صورة رائعة لذلك الغنى والترف اللذين عاشتهما البلاد قبل حدوث الشدّة المستنصرية ٤٥٨هـ/١٠٦٦م فهو يحدثنا عن الحوانيت التي كانت تضمها القاهرة والتي كان عددها يزيد على عشرين ألف حانوت مملوكة جميعها للخليفة الفاطمي، وكيف كانت تؤجر هذه الحوانيت للناس، وكيف كان إيجار الحانوت منها يصل أحياناً إلى عشرة دنانير في الشهر الواحد[1]، كما يحدثنا عن المنازل التي يملكها الخليفة في القاهرة والتي بلغت ٨٠٠٠ ثمانية آلاف

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامه، ص٨٨.

منزل يؤجرها للناس، وكيف ارتفعت المنازل في مصر حتى بلغ عدد طوابق بعضها أربعة عشر طابقاً ١٤ ثم بلغ تعداد سكان العاصمة نصف مليون من الأنفس[١].

أما الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) فيقول في المسالك والممالك أن المنازل اتسعت حتى وسع بعضها مائتي ساكن، وكيف أقيمت في أنحائها الحدائق والمنتزهات، وكيف تحولت بعض أسطح قصور الخليفة، وما زرع عليها من أشجار على درجة عالية من الجمال[٢].

وكذلك يذكر ناصر خسرو أن تعداد الجمال التي خصصت في القاهرة لحمل مياه الشرب إلى سكان الشوارع غير الضيقة، وكيف بلغ تعدادها اثنان وخمسون ألفاً من الجمال، وذلك غير الرجال الذين يحملون القرب المملوءة على ظهورهم إلى المنازل الواقعة في الحارات الضيقة التي لا تستطيع الجمال الوصول إليها[٣].

مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي:

من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي في مصر أنها تميزت ببذخ لم يوجد له مثيل في كافة الخلافات الإسلامية وخاصة في المناسبات الدينية التي يحتفل فيها الشيعة، كذلك كانت مظاهر الأبهة والفخامة تظهر في خزائن الفرش والأمتعة والجواهر والخيام والشراب والدليل على تلك المظاهر العديد من القصور التي تم بناؤها لتكون مساكن لهم ولأسرهم وجماعاتهم [٤].

بالإضافة إلى أن وزراء الخلفاء الفاطميين كانوا على درجة من البذخ والترف في معيشتهم أنهم كانوا يعيشون في قصور فخمة ومن أشهرهم الوزير يعقوب بن كلس (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله الذي كان يسكن قصراً منيفاً به من الغرف والمطابخ له وللضيوف وللحاشية، كذلك الوزير الأفضل بن بدر الجمالي(ت٥١٥هـ/١١٢١م) الذي كان مشهوراً بولعه بالبساتين، فبنى لأحدها سوراً يشبه سور القاهرة، وحفر به بركة كبيرة، كما بنى

---

(١) المهلبي، الحسن بن أحمد (ت٣٨٨ه/٩٩٨م) **المسالك والممالك أو الكتاب العزيزي**، جمع تيسير خلف، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٦م، ص٣٧.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامه، ص٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٩.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٤١٦.

في وسط هذا البستان منظرة على أربعة أعمدة من الرخام، وزرع حواليها شجر النارَنج، وجلب إليه كثيراً من الطيور غالية الأسعار مثل الطاووس.[١]

وأنشأ الخلفاء الفاطميون ووزراءهم العديد من المناظر التي كانوا ينتقلون إليها في ضواحي القاهرة والفسطاط للاسترواح والاستجمام وخاصة أيام زيادة النيل التي كان ينتقل فيها الخليفة، وعلى الأخص ابتداءً من عصر الخليفة الآمر إلى منظرة اللؤلؤة على الخليج[٢]، وكان الناس يوم ركوبه يخرجون من القاهرة ومصر بمعايشهم ويجلسون للنظر إليه فيكون كيوم العيد، وكانوا يصنعون أخشاباً متراكبة بعضها على بعض يجلسون فوقها للتفرج يوم كسر الخليج، لذلك فقد أمر الخليفة الآمر بأحكام الله في سنة (٥١٨هـ/١١٢٤م) ببناء دار واسعة ليتفرج الناس فيها عند كسر الخليج بالكراء[٣].

مظاهر الاحتفالات بالأعياد الدينية:

كانت العادة أن يحتفل المسلمون طوال العام بعيدي الفطر والأضحى، وهما العيدان اللذان يحتفل بهما المسلمون في كل مكان، وإلى جانب هذين العيدين كانت العادة في الدولة الفاطمية أن يحتفل برأس السنه الهجرية (أول المحرم)، وبالمولد النبوي (١٢ ربيع الأول)، ويحتفل أيضاً بقافلة الحج، وكذلك بليالي الوقود الأربع (ليلة مستهل رجب وليلة نصفه، وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه)، كما أن صوم رمضان كانت تصحبه بعض المراسيم في البلاط الفاطمي، خاصة وقت إفطار وسحور الخليفة[٤].

كما أنه لا يمكن التغافل عن احتفال الفاطميين بأعياد النيل حيث كان كسر الخليج مناسبة لخروج الجماهير للاستمتاع بمنظر النيل ومشاهدة الخليفة وهو يشاهد هذا الاحتفال، ويدخل في هذا النوع من الاحتفالات رأس السنة القبطية أو (النوروز) الذي يتوافق قدومه مع أقصى ارتفاع للفيضان، وكان الخلفاء يشاركون المصريين بالاحتفال ببعض الأعياد القبطية مثل الميلاد

---

(١) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٦٣٣.

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٦٩- ٤٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٧٧.

(٤) ابن المأمون، جمال الدين أبو علي موسى، **أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، ١٩٨٣م، ص٨٢-٨٣.

والغطاس وخميس العهد الذي كان مناسبة تضرب فيها الحكومة الفاطمية قطعاً ذهبية صغيرة تسمى (خراريب الذهب). [١]

وكانت تتميز تلك الاحتفالات بمظاهر البذخ والترف تأكيداً عليها وكسب ود المصريين للاحتفالات بها، حيث كانوا يوزعون الحلوى والفطائر على المصريين استقطاباً لهم لتلك الاحتفالات[٢]، وفي ذلك يقول المقريزي: "وفي يوم العيد ركب الخليفة العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب والعسكر في زيه، من الأتراك والديلم والعزيزية والإخشيدية والكافورية، وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهبية وعلى الجانب السروج وخرج بالمظلة الثقيلة بالجواهر وبيده قضيب جده، فصلى على رسمه وانصرف، وإذا ما عاد الخليفة من الصلاة، وجد سماطاً آخر فيجلس وأمامه مائدة من فضة يقال لها (المدورة) وكانت توضع عليها أواني الذهب والفضة الزاخرة بألوان الطعام، وقبالتها سماط ضخم يتسع لنحو خمسمائة مدعو، نثرت عليه الأزهار والرياحين وصفت على جانبيه الأطباق الحافلة بأنواع الطيور والحلوى وكان يجلس إليه رجال الدولة والعظماء". [٣]

وعند الحديث عن الحياة الاجتماعية فلا بد من التطرق للحياة الدينية والسلوك الديني، فالفاطميون كانوا حريصين على التمسك بالمظاهر الدينية في الصلاة والصيام والأعياد التي أقاموها، ومن المظاهر التي حرص الفاطميون على مراعاة أمور الدين فيها هي عدم خروج المرأة متبرجة في الأسواق، وقد وقف الحاكم بأمر الله موقفاً متشدداً من هذه القضية، وخلال سنوات حكمه لم يكن يسمح للمرأة بالخروج إلى الطرقات، وكانت مشترواتهن تتم عن طريق النوافذ.

وقد خفّت هذه القيود بعد الحاكم إلا أن الخلفاء ظلوا يحافظون على الآداب العامة ويراقبون سلوك النساء، فيردعون من تحدثه نفسه بالإخلال بما يأمر به الشرع، ولا بد أن وراء هذه الاجراءات علماء كانوا يحضون على ذلك بالرغم من سكوت المصادر الفاطمية عن دور العلماء في هذا الشأن، وكذلك أُمر بأن يُضرب في الأسواق والطرقات بالجرس ويُنادى أن لا يدخل الحمام أحد إلا بمئزر حتى لا تظهر العورات ويُستباح الحياء، وقُبض على جماعة في الحمّام بغير مئزر فضربوا وشهّروا[٤].

---

(١) ابن المأمون، أخبار مصر، ص٩٥. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٦٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٩٧.

(٣) المقريزي، المواعظ والاعتبار،، ج٢، ص٣٧٩.

(٤) ابن المأمون، أخبار مصر، ص٣٢.

من ناحية أخرى نلاحظ كثرة الأعياد الفاطمية، وهذه كان يرافقها بذخ ومجون في بعض الأحيان، وكان الخلفاء والأمراء يشاركون في ذلك فهذا الأمير تميم بن المعز كان حريصاً على البذخ وحب التمتع باللذات في قصوره وبساتينه، يستمع إلى الغناء ويشارك في الاحتفالات والمواسم[١]، وهذا برجوان كان رجل الدولة القوي في حاشية العزيز والذي أوصى به ولده الحاكم، فكان بيده الأمر في أول دولته حتى تخلص منه، يقول المقريزي: (ترقت أحوال برجوان إلى أن بلغ النهاية، فقصر عن الخدمة، وتشاغل بلذّاته، وأقبل على سماع الغناء وأكثر من الطرب؛ وكان شديد المحبّة في الغناء، فكان المغنّون من الرجال والنساء يحضرون داره فيكون معهم كأحدهم، ثمّ يجلس في داره حتّى يمضي صدر النهار....) [٢]، ولم يسلم رجال العلم من شيوخ دين ورجال قلم من الانغماس في تلك الملاهي وإن كانوا يتسترون عليها أحياناً ولا يجهرون بها، ويبدو أن طبيعة الشعب المصري وحبّه للحياة البهجة، واستمتاعه بنعيم الدنيا كان مشجعاً له على الاقبال على الاحتفال بالأعياد بكل ما أوتي من طاقة ونشاط، وإن بالغ أحياناً وشذّ بعض الشذاذ والعوام، فأسرفوا على أنفسهم وارتكبوا بعض المفاسد وأظهروا المجون وخرجوا على التقاليد والحرمات، ولم يتقيدوا بما توجبه أوامر الدين مما اضطر الحكام ورجال الشرطة إلى التدخل لمنع هذه الانحرافات المخلة بالقيم الدينية والاجتماعية[٣].

فهذا أحد العلماء – من أصل تونسي- كان في نهاية المجون وكان يجلس إليه أحد شعراء القيروان في القرن الخامس وهو عبد الرحمن بن محمد الفراس الشاعر الماجن، ولم يكن يتورع عن فاحش القول ونقرأ عن عالم آخر من علماء القيروان - مقيم في القاهرة- يدعى عتيق بن محمد بن أبي بكر الورّاق التميمي يبدي الخشوع وتترقرق دموعه في حلقة الجامع حتى إذا كان في بيته كان في يده الطنبور، وعن يمينه غلام مليح، فإذا قيل له: (ما أبعد ما بين حاليه في مجلسيه؟! قال هذا بيت الله وهذا بيتي أصنع في كل واحد منهما ما يليق به وبصاحبه)[٤].

كذلك اهتم الخلفاء الفاطميون بالاحتفال بليلة مولد النبي احتفالاً باهراً يليق بمكانته العظيمة في نفوس المسلمين، وكان الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بدعة في نظر المتمسكين بالعادات الإسلامية، لكن أهل الصلاح والورع من المسلمين، رغبة منهم في تكريم النبي صلى الله

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٥٤-٢٥٧.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص٦.

(٣) سلام، محمد، زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي (الكتابة والكتّاب)**، ج١، ط١، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥م، ص١٤٤-١٤٥.

(٤) ياغي، حياة القيروان، المكتبة الاسلامية، دمشق، ١٩٩٠م، ص٨٧.

عليه وسلم، رأوا منذ بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أن يحتفلوا بمولده، ومن المظاهر الدينية المألوفة في هذا العيد قراءة السيرة في المساجد[١].

وكان أهل مصر يستقبلون تلك الأعياد والاحتفالات بمظاهر من الفرح عدا يوم عاشوراء، فكان يعتبره الفاطميون يوم حزن وكرب، وفيه يتم تعطيل الأسواق وإغلاقها، ومن مظاهره أن يخرج المنشدون إلى الجامع الأزهر للإنشاد في رثاء الحسين بن علي رضي الله عنه[٢].

وكان يتم توزيع النقود الذهبية والفضية بمناسبة عيد الفطر على الضيوف والموظفين بمختلف درجاتهم، كما كان يتم منح كبار الموظفين في الدولة نقوداً ذهبية يتم صكها خصيصاً بمناسبة غرة المحرم وتسمى نقود الغرة، عبارة عن دنانير رباعية ودراهم وكان هؤلاء الموظفون يقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة[٣].

القضاة العلماء:

أما منصب قاضي القضاة وكذلك القضاة العاديين فلا بد من الحديث عنهم لأن القضاء كان يمس المجتمع والناس بشكل مباشر، فقد كان قاضي القضاة يُختار من بين الفقهاء الإسماعيليين ويشترط عليه ألا يحكم إلا بمذهب الدولة، فعندما استخلف علي بن النعمان أخاه محمد والحسن بن خليل الفقيه الشافعي، شرط عليه أن يحكم بمذهب الإسماعيلية لا بمذهب الشافعي[٤]، وبعد وفاة القاضي أحمد بن عبد الرحمن بن عقيل سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م قام الناس بلا قاضي ثلاثة أشهر، ثم اختير الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الحطيئة المالكي اللخمي فاشترط ألا يُقضى بمذهب الدولة فلم يُمكّن من ذلك، فعهد الوزير ابن ولخشي إلى الفقيه أبي محمد عبد المولى الليثي بعقد الأنكحة فأجاب وبقي الحكم شاغراً[٥].

---

(١) متز، الحضارة الإسلامية، ص٢٥٠.

(٢) حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، ص ٤٦٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٥.

(٤) السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٤.

(٥) الدواداري، أبو بكر عبدالله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/١٤٣٢م) **كنز الدرر وجامع الغرر**،ج٦، تحقيق،صلاح الدين المنجد وسعيد عاشور واولرخ هارمان وهانس روبرت رويمر، القاهرة ١٩٧٢ ص٥٢٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) رفع الإصر عن قضاة مصر، ط١، تحقيق علي محمد عمر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨٠. السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٤-٣٦٥.

والاستثناء الوحيد لذلك حدث في الفترة التي تولى فيها الوزارة أبو علي الأفضل كتيفات عندما سجن الخليفة الحافظ ودعا للإمام المنتظر سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، فقد رتّب في الحكم سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م أربعة قضاة يحكم كل قاض بمذهبه ويورّث بمذهبه، قاضي للشافعية هو سلطان بن إبراهيم بن المعلم بن رشا، وقاضي للمالكية هو أبو عبد الله محمد بن عبد المولى الليثي، وقاضي للإسماعيلية هو فخر الأمناء هبة الله بن عبد الله بن حسن المعروف بابن الأزرق، وقاضي للإمامية هو المفضل أبو القاسم بن هبة الله بن عبد الله بن أبي كامل، وعلّق ابن ميسر على ذلك بأنه لم يسمع بهذا قط فيما سلف[١].

لذلك فقد كان يعهد أحياناً إلى القاضي بتدريس دار العلم بالقاهرة مثلما حدث مع القاضي هبة الله بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن الأزرق سنة ٥٣٤هـ/١١٤٠م[٢].

وكان مجلس القاضي دائماً يومي الثلاثاء والسبت بالزيادة البحرية والشرقية لجامع عمرو بالفسطاط، فإذا أقبل العصر عاد القاضي إلى القاهرة[٣]، وله في مجلسه طراحة ومسند حرير، وقد استجدّ هذا الرسم بعد أن تولى القاضي أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عقيل سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م، فإنه لما دخل مجلس القضاء ووجد المرتبة أمر برفعها وجلس على طراحات السامان فاستمر هذا الرسم[٤]، ويجلس الشهود حواليه يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم، وقد بلغ عدة الشهود في أيام القاضي محمد بن هبة بن ميسر في سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م مائة وعشرين شاهداً، وكانوا قبل ذلك دون الثلاثين[٥]، وكان يجلس بين يديه في المجلس خمسة من الحجّاب، اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد يُنفذ الخصوم إليه، كما كان له كذلك أربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرسي الدواة[٦].

وكان للقاضي برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء تخرج له من الاسطبلات الخليفية، وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب لدولة، وكانت تأتيه في المواسم الأطواق، ويُخلع عليه الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق، إلا إذا جمع له الحكم والدعوة في الخلع الطبل والبنود، أما إذا

---

(١) النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٣هـ/١٢٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٢٦، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٨٧- ٨٨. السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٥.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص١٧٢. السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٥.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٢٢٤. السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٥.

(٤) السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٦.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص١٠١. السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٦.

(٦) السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٦.

خلع عليه للحكم خاصة فيكون حواليه القرّاء رجّالة، والمؤذنون يعلنون بذكر الخليفة أو الخليفة والوزير، إن كان الوزير صاحب سيف[١].

وكان للقاضي مكان متميز في المواكب والاحتفالات فمن ذلك: (ركوب عيد الفطر، وركوب عيد النحر، فبعد فراغ الخليفة من الصلاة كان يصعد المنبر للخطبة العيدية وكان القاضي من بين من يُشرّفون بالوقوف مع الخليفة ويرقى معه المنبر ليزرّر عليه المزرّة الحاجزة بينه وبين الناس[٢]، ويقرأ مدرجاً يكون قد أحضر إليه من ديوان الإنشاء يتضمن ثبتاً بمن شرُف بصعود المنبر الشريف مع الإمام يوم العيد، كما أنه يرقى المنبر مع الإمام في صلاة الجمعة في رمضان، وفي يده مدخنة لطيفة خيزران يحضرها إليه صاحب بيت المال فيها جمرات، ويجعل فيها ند مثلث لا يُشم مثله إلا هناك، فيبخّر الذروة التي عليها الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ويكرر ذلك ثلاث دفعات) ثم يصحب الإمام ومعه الوزير إلى المنبر حتى يستوي الإمام جالساً فيزرّر عليه المزرة ويقف صاحب الباب ضابطاً للمنبر إلى أن يخطب الخليفة خطبة الجمعة[٣].

دور علماء أهل الذمة في خدمة الخلافة والمجتمع:

هناك فئة تميزت أيما تميز في مجال العلوم العقلية وتحديداً في الطب، وهم أطباء أهل الذمة، الذين أدوا دوراً طيباً في مجال المعالجة وتشخيص الأمراض وتقديم الدواء النافع فضلاً عن تأليف الكتب الطبية وكتابة المقالات، وبما أنهم كذلك فلا بد أنهم خدموا المجتمع بطبهم، وإن سكتت المصادر عن خدمتهم للعامة، فالملاحظ كما سيأتي لاحقاً أن أغلبية هؤلاء قد استأثر بهم الخلفاء وعيّنوهم أطباءً خاصين لهم.

وإذا كان الكثير من اليهود والنصارى قد اشتغلوا في دواوين الدولة الفاطمية، فإن الخلفاء الفاطميين استخدموا أطباء من أهل الذمة في قصورهم، إذ إن وظائف الأطباء كانت من أعظم الوظائف وأعلاها في ذلك العصر، فكان للخليفة الفاطمي طبيب يعرف بطبيب الخاص، يجلس على باب دار الخليفة كل يوم ويجلس على الدكك التي بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر دونه أربعة أطباء أو ثلاثة لمعالجة المرضى من الأقارب والخواص، ويكتبون لهم تذكرة بما يلزمهم من أدوية الصيدلية الملحقة بقصر الخلافة[٤].

---

(١) السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٦.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص١٥٦. السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٧.

(٣) ابن المأمون، أخبار مصر، ص٨٨. السيد، الدولة الفاطمية، ص٣٦٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٢.

وكان لهؤلاء الأطباء المنزلة السامية والمكانة الرفيعة في قصور الخلفاء ولدى العامة أيضاً، ويلقون من مظاهر الاحترام والتقدير شيئاً كثيراً[١]، هذا بالإضافة لما كانوا يتقاضون من مرتبات عالية مجزية[٢].

فاشتهر في العصر الفاطمي الأول موسى بن العيزار الاسرائيلي الطبيب العالم الذي خدم الخليفة المعز لدين الله لدى قدومه من المغرب، وكان موضع تقدير المعز وثقته[٣]، كما التحق بخدمته ابنه اسحق بن موسى الطبيب، وبعد أن وافاه أجله في صفر سنة ٣٦٣ه/٩٧٤م، عيّن المعز مكانه أخاه اسماعيل بن يعقوب بن اسحق، وكان ذلك في حياة أبيهم وجدهم موسى بن العيزار، وقد تفانى أفراد هذه الأسرة في خدمة المعز، وألّف موسى بن العيزار مؤلفات طبيه على جانب كبير من الأهمية منها الكتاب المعزي في الطبيخ، ألفه للخليفة المعز، وكتاب الأقراباذين ومقالة في السعال كما ركّب الكثير من الأدوية[٤].

ومن الذين عملوا في خدمة العزيز بالله الطبيب أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان، وكان من النصارى الملكانية من أهل مصر الذين ارتفع شأنهم أيام العزيز ولم يزل له مكانته حتى وفاته سنة ٣٦٨ه/٩٧٨م وكانت جنازته مهيبة ضخمة شارك بها كبار أمراء الدولة تكريماً له[٥].

أما يوسف النصراني الطبيب الذي كان عارفاً بصناعة الطب، ومن العلماء البارزين في هذا الميدان، فقد عيّنه الخليفة العزيز بالله بطريركاً على بيت المقدس في السنة الخامسة لخلافته[٦].

لخلافته[٦].

وكان أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر النصراني من الأطباء المشهورين والعلماء المرموقين الذين تمتعوا بمكانة رفيعة في دولة الفاطميين، ومن المقرّبين إلى قصر الخلافة والبلاط الفاطمي وبخاصة في أيام العزيز بالله، إذ كان الخليفة يستطبّه ويعمل بمشورته ويحترمه، وفي

---

(١) ابن العبري، يوحنا بن هارون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) **تاريخ مختصر الدول**، ط٣، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣١٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٢.

(٣) القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني(ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) **إخبار العلماء بأخيار الحكماء**، ط١، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٤٠.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٤٩.

(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٥٤٥.

رسالة العزيز بالله إلى ابن مقشر ما يلقي الضوء بوضوح على مكانة الأطباء من أهل الذمة عند خلفاء الفاطميين وعند المجتمع بشكل عام[1].

وبلغ ابن مقشر في عهد الحاكم بأمر الله أعلى المنازل وأسناها، وكان من خواصه والمقربين إليه، فكان عندما ينصرف من مجلس الحاكم بأمر الله كان ابن مقشر الطبيب يلازمه ساعات طويلة[2]، وقد أجزل الحاكم بأمر الله له العطايا وكافأه بعشرة آلاف دينار عندما نجح ذات مرة في علاجه من مرض ألمّ به[3].

ولما توفي ابن مقشر استطب الحاكم بأمر الله بعده أبا يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن نسطاس النصراني، وخلع عليه في ربيع الأول سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م وحمله على بغلتين ومعه ثياب كثيرة، وأعطاه داراً بالقاهرة فرشت بأحسن الأثاث[4].

وأصبح ابن نسطاس من أطباء الخاصة المقربين إلى الحاكم بأمر الله، واستطاع أن يقنعه بشرب النبيذ لما فيه من فوائد، فاستدعى الحاكم المغنين وأصحاب الملاهي إلى مجلسه، وشرب بحضورهم وخلع عليهم، وأحسن لهم، لكن بعد وفاة ابن نسطاس سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م امتنع الحاكم بأمر الله عن مخالطة الناس[5]، وكانت له صلات حسنة بكبار رجال الدولة الفاطمية، وأنه حضر مجالسهم وخالطهم في قصورهم، وأكل على موائدهم ونادمهم، غير أنه لقي مصرعه غرقاً في بركة ماء فاقد الوعي لكثرة ما شرب من الخمر، وخاف خلانه ومن كان معه أن يخبروا الحاكم بأمر الله لمعرفتهم بمنزلته عنده، وقد شقّ على الحاكم بأمر الله خبر وفاته، وأظهر الحزن والأسى

---

(١) ابن العبري، يوحنا بن هارون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) **تاريخ مختصر الدول**، ط٣، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٨١. أما رسالة العزيز فهي: (بسم الله الرحمن الرحيم طبيبنا سلمه الله الطبيب وأتم النعمة عليه وصلت إلينا البشارة بما وهبنا الله من عافية الطبيب وبرئه والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقنا نحن من الصحة في جسمنا فتمم الله عليك النعمة وكمل لنا صحتك وعجل بها ولا أشمت بناقيك عدوا ولا حاسدا ورد كيد من يريد الكيد في نحره وابتلاه بما لا طاقة له بعد الكفاية فيك وإقالتك العثرة ورجوعك إلى أفضل ما عودك من صحة الجسم وطيبة النفس وخفض العيش بحوله وقوته والسلام عليك وصلى الله على خيرته من خلقه محمد النبي وآله وسلم تسليما) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٣١.

(٣) الأنطاكي، يحيى بن سعيد (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م، ص١٨٦.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٤٨.

(٥) الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي، ص١٩٢.

لمصرع أنبغ أطباء قصر الخلافة[1]، وعندما أخرجت جثته من الماء حُملت إلى الكنيسة في تابوت، ومرّت جنازته في شوارع القاهرة، وحول جثمانه سائر رجال الدولة في موكب جنائزي مهيب على أضواء الشموع وبخور المداخن، ثم أعيد إلى داره فدفن فيها[2].

وكان لابن نسطاس يد طولى في الموسيقى وانفرد بخدمة الحاكم بأمر الله في الطب فأثري، وترك ثروة طائلة تزيد على عشرين ألف دينار عيناً، فضلاً عن الممتلكات الأخرى[3].

وبوفاة ابن نسطاس جعل الحاكم بأمر الله صقر اليهودي طبيبه الخاص سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م وحمله على بغلة، وقيد إليه ثلاث بغلات بسروج ولجم ثقال وحمل معه عشرون سفط ثياب؛ وأنزل في دار فرشت وزينت، وعلق على أبوابها وحجرها الستور، وأعطى فيها جميع ما يحتاج إليه، وقيل له هذه دارك؛ فحصل له في ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار[4].

أما الطبيب الذي ذكرته كتب التراجم في طبقات الأطباء ولم تسجل اسمه الحقيقي، فهو الطبيب اليهودي المسمى بالحقير النافع، والذي تمكن من تركيب دواء عالج به جرح مزمن كان في رجل الحاكم بأمر الله، وكان أطباء الخاص بما فيهم ابن مقشر وغيره قد عجزوا عن علاجه، فلما تماثل الحاكم بأمر الله للشفاء أعطاه ألف دينار مكافأة له، وخلع عليه ولقبه بالحقير النافع وجعله من أطباء الخاص[5].

الصراعات داخل المجتمع المصري في العصر الفاطمي:

نتيجة تلك التركيبة السكانية للمجتمع المصري في العصر الفاطمي والتي اتسمت بالتعددية من حيث الأجناس والمذاهب والأديان وبالتالي الثقافات والعادات والتقاليد تولدت العديد من الصراعات داخل المجتمع منها الصراعات الطائفية والصراعات الدينية، والصراعات العرقية، وكان من أبرز تلك الصراعات:

---

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) **رفع الإصر عن قضاة مصر**، ط١، تحقيق علي محمد عمر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٤٨.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٣.

(٥) القفطي، إخبار العلماء بأخيار الحكماء، ص١٣٦.

الصراعات مع الشيعة:

تزايدت حدة الصراعات مع الشيعة منذ مجيء الفاطميين إلى مصر، حيث كان الفاطميون يستوزروا الوزراء من الشيعة، كما كانوا ينسبون إليهم الوظائف العليا في البلاد، ومما زاد حدة التوتر مجيء الخلفية المعز لدين الله الذي سن من القوانين ما يجور به على أهل السنة من البلاد لكي يتبعوا المذهب الشيعي، فزاد من سخط المصريين عليه وعلى طريقة الحكم بعد أن أعطاهم جوهر الصقلي عهد أمان بالبقاء على مذهبهم السني في العبادة، كما كان لأفعال الخلفاء ما يزيد من هو الخلاف فيما بينهم وبين الرعية، حيث كان المعز لدين الله يقول بأنه قد رفع إلى السماء واحتجت عن الناس إلى أن تم رده مرة أخرى لهم، وكان يحكم بالحديد والنار[١].

الصراعات مع أهل الذمة (النصارى – اليهود):

كان لسياسة الفاطميين في تولية المغاربة المناصب العليا في البلاد أن زاد السخط عليهم من قبل أهل السنة، مما حذا بهم أن يستبدلوهم بأهل الذمة من النصارى، ما أثر على أهل السنة في زيادة سخطهم على الفاطميين حتى وصل الأمر إلى الشكاية إلى الخليفة الحاكم بأمر الله من إعلاء شأن النصارى على حساب أهل السنة، وقد عمل الحاكم على ترضيتهم نكاية في المغاربة الذين استوحشوا مما أخاف الفاطميين على زيادة ذلك النفوذ والاستفراد بالسلطة وجعلوا من الوزراء النصارى ما يسوس الأمر، ولكن بعد زيادة سخط أهل السنة قام الحاكم بالله بالانقلاب على أهل الذمة وأصدر العديد من القوانين الصارمة وأقبل على هدم الكنائس الخاصة بهم، بل وصل الأمر إلى إصداره قوانين بأن يرتدي النصارى الصلبان على صدورهم وكانت بطول قدم، كما جعل اليهود يرتدون القرامي الخشبية بوزن الصلبان على صدور النصارى ويزن الصليب والقرمي خمسة أرطال، ومنعهم من ركو الدواب ذات السروج وألا يستوظفوا لديهم من المسلمين، ويصف ابن العماد الحنبلي الحاكم بأمر الله بقوله "وكان الحاكم سيئ الاعتقاد كثير التنقل من حال إلى حال" [٢] وذلك وصفاً لحاله المتقلب من المغاربة إلى النصارى واليهود، وأهل السنة.[٣]

---

(١) ماجد، عبد المنعم، **ظهور خلافة الفاطميين في مصر**، منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٩١.

(٢) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، ج٥، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م، ص٦١.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٩٣.

هذا وقد زاد السخط من قبل أهل الذمة على الخلفاء الفاطميين فأوفدوا منهم وفداً لمقابلة الحاكم بأمر الله ليشكوا له ما يتعرضون له من ظلم وطغيان، فقابلهم وخيرهم بين اثنتين إما أن يدخلوا إلى الإسلام أو يهاجروا خارج البلاد، وبالفعل هاجر كثير منهم إلى بلاد الإغريق (اليونان) والحبشة والنوبة، كما أنه في عام (٤٠٨هـ/١٠١٨م) أمر بعدم دخول النصارى واليهود إلى حمامات المسلمين، فأقيمت لهم حمامات خاصة بهم بعيداً عن حمامات المسلمين.[١]

الصراع مع المغاربة:

لم تقتصر الصراعات داخل المجتمع المصري في عهد الدولة الفاطمية على الصراعات الدينية فقط، بل تخطت ذلك وامتدت لتشمل الصراعات العنصرية العرقية، حيث واجه المجتمع المصري المد الشيعي، فما كان من الفاطميين إلا الاستعانة بالمغاربة ومن بعدهم الأتراك، فلما ولي العزيز بالله الحكم استعان بالأتراك كما فعل العباسيون من قبل، وذلك على حساب المغاربة الذين استفحل أمرهم وزاد سخط الشعب المصري عليهم لاستعلائهم عليهم في المعاملة، وعندما تم استخدام الأتراك زادة حدة الصراع بينهم وبين المغاربة، وعند وفاة العزيز بالله وتولي الحاكم بأمر الله اشتكى له المغاربة من استئثار الأتراك بالأمر ونصحوه بإبعادهم وتوليتهم، فاستجاب لرغبتهم وقام بتوزيع العطايا عليهم لاسترضائهم وحط من قدر الأتراك، مما زاد السخط على المغاربة من كافة الاتجاهات، وعند قيام الدولة الزيرية [٢] في المغرب خشى الفاطميين من ولاء المغاربة فأبعدوهم عن الأمر والإدارة، وذلك كان نتيجته زيادة دور المصريين في الإدارة في الدولة الفاطمية.[٣]

الصراع مع الأتراك والعبيد:

كان سبب حرق الفسطاط هو أن المصريين قاموا بعمل تمثال للحاكم بأمر الله شبهوه فيه بامرأة في يدها رقعة، مما أغضبه على أهل مصر فاستعان بالترك والعبيد لحرق الفسطاط، ونظراً

---

(١) ابن اياس الحنفي، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ /١٥٢٤م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، القاهرة، مطبعة بولاق، (د.ت)، ص ٥٠.

(٢) أسسها يوسف بن زيري الصنهاجي الملقب بـ (بلكين) الذي اختاره المعز لدين الله لخلافته في المغرب عام (٣٦١هـ /٩٧٢م)، وحكمت الاسرة الزيرية أصحاب إفريقية والمغرب حتى عام (٤١٧هـ/١٠٢٦م) باسم الفاطميين، ثم استقلت عن الفاطميين من عام (٤١٧هـ/١٠٢٦م) وحتى عام (٥٣٤هـ/١١٣٩م) وكانت حاضرة دولتهم. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٦، ص٥٣٧.

(٣) عبد المنعم، ماجد، **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٩١.

لتلك الحادثة قامت معارك مريرة بين أهل مصر وبين الأتراك والعبيد، ثم دارت الدائرة على العبيد بالتعاون الذي حدث بين الأتراك والمغاربة مع أهل مصر ضدهم،خاصة عندما علم أهل مصر والأتراك بأن الحاكم بأمر الله هو من أوعز لهم ذلك بعثوا له برسالة نصها: "نحن عبيدك ومماليكك، وهذا البلد بلدك، وفيه حرمنا وأموالنا وأولادنا وعقارنا، وما علمنا أن أهله جنوا جناية تقتضي سوء المقابلة، وتدعو إلى مثل هذه المعاملة فإن كان هناك باطن لا نعرفه فأخبرنا به، وانتظرنا حتى نخرج بعيالنا وأموالنا منه، وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفاً لرأيك، فأطلقنا في معاملتهم بما يعامل به المفسدون المخالفون"(١).

وأيدهم الحاكم بأمر الله ولكنه أوعز إلى العبيد سراً بتحريضه لهم على الأتراك ويعدهم بالمساعدة وعلم الأتراك بالأمر فأرسلوا له بعلمهم بالأمر، وتمكنوا بمعاونة المصريين من الانتصار على العبيد وتشريدهم، ولكن في عهد المستنصر بالله الخليفة الفاطمي استعاد العبيد نفوذهم مرة أخرى، حيث كانت أمه أمة سوداء فاستكثر منهم في الجنود فقويت شوكتهم، فاشتعل الصراع بينهم وبين الأتراك لحصد النفوذ والسلطة وتقاتلا وانتصر الأتراك مرة أخرى واستعادوا نفوذهم المفقود لدى خليفة الفاطميين وأهل مصر واستمرت المعارك بينهم وبين الأتراك حتى هزموهم هزيمة نكراء لم يستقوا بعدها.

الصراع مع الأرمن:

عندما تولى أمير الجيوش بدر الجمالي زمام الأمر إثر نصرته للخليفة المستنصر بالله أحضر معه جند أرمن أشداء واشترط على الخليفة ألا يبقي بمصر إلا وهم معه ووافق الخليفة على طلبه، وكانت الفرقة العسكرية الأرمنية هي أقوى فرق الجيش الفاطمي، وعند تولي بهرام الأرمني الوزارة في عهد خلافة الحافظ لدين الله أرسل في طلب أهله من بلاده وكثر عددهم في المجتمع المصري وشرعوا في بناء كنائسهم وممارسة شعائرهم الدينية بحرية، مما استشاط غضب المصريين عليهم(٢).

وتبعاً لكل تلك الصراعات فإن أقواها كان فيما بين الخلفاء ووزرائهم نتيجة أطماع كل جانب منهم، فالوزراء كانوا يقتطعون الأراضي كما يشاؤون، ويحجرون على الخلفاء، مما زاد من سخط المصريين عليهم ونهبت خيرات البلاد، في الوقت الذي كانت البلاد مهددة من الخطر الصليبي المحدق بهم، فكانت نتائج التصرفات والصراعات بين الخلفاء والوزراء من جهة وبين الأمراء والولاة من جهة أن أصيبت البلاد بالعجز الاقتصادي نتيجة تكل الصراعات مما أنشأ

(١) ابن تغري بردي،النجوم الظاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص١٨١-١٨٢.

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣، ص١٥٩.

أحقاد وضغائن بين كافة فئات المجتمع، وكانت الدولة تقف مكتوفة الأيدي أمام تلك الصراعات فانشغلت كل طبقة من طبقات المجتمع في الحفاظ على نفوذها وثرواتها.[١]

دور العلماء في ردع السلطة الفاطمية إزاء الصراعات:

في البداية لا بد من القول أنه كان للفاطميين جهد واضح في مجال الثقافة والتعليم، وقد ظهر ذلك من خلال دار العلم (الحكمة) التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) وقد أراد مؤسسها أن تكون شبيهة (ببيت الحكمة) الذي أقامه الخليفة المأمون العباسي في بغداد، فحمل إليها من خزانة كتب القصر كتباً كثيرة تحتوي على سائر العلوم والآداب، وأباح الاطلاع عليها لمن يريد فتردد عليها الناس ونسخ كل من التمس نسخ كل شيء مما فيها ما التمسه، ورتب فيها أناساً يدرسون الناس العلوم المختلفة، كما أجرى الأرزاق لمن رسم له الجلوس فيها والخدمة بها من الفقهاء والعلماء وغيرهم، ووفر بها ما يحتاج إليه الناس من حبر وأقلام وورق ومحابر، لقد ساعد هذا الأمر على ظهور فئة العلماء والذين كان لهم رأي في معظم الأمور[٢].

ويجب الإشارة إلى أنه لا يوجد كتاباً في طبقات العلماء وتراجمهم في العصر الفاطمي مثل كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، مما يجعل الصورة التي نقدمها عن العلماء غير كاملة كما هو الحال في العصر المملوكي مثلاً، ولكن مع ذلك هناك بعض الإشارات التي نذكرها فمثلاً كان من الفقهاء والعلماء البارزين في عصر الدولة الفاطمية الكثير ممن كانوا لا يرضون بما يحدث ولعل الرواية التي أوردها ابن كثير في قصة الشيخ أبو طاهر مع الخليفة المعز لدين الله خير دليل على ذلك، حيث يذكر في كتابه بأن القائد جوهر الصقلي أتى بالشيخ أبي طاهر[٣] بوشاية سمعها عنه ودار بينهم حوار: "سأله الخليفة أأنت حقاً قلت إنه لو كان لدى المصريين عشرة أسهم، فليضربوا الروم بتسعة ويضربونا بالعاشر؟، فقال الشيخ: لا، لم أقل هذا، ثم قال: لقد قلت: إنه لو كان لدى

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٩٩.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٢، ص٥٦.

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهلي، أبو الطاهر فقيه مالكي محدث من قضاة مصر. كان محدث زمانه، أصله من البصرة، ولي قضاء مصر سنة (٣٤٨هـ/٩٦٠م) فاستمر إلى أن دخل جوهر مصر فأقره على ذلك، أصيب بفالج، فصُرف عن العمل سنة (٣٦٠هـ/٩٧١م) وأقام بمصر إلى أن توفي. العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) رفع الإصر عن قضاة مصر، ط١، تحقيق محمد علي عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٠٠.

المصريين عشرة أسهم فليضربوكم بتسعة أسهم لأنكم غيرتم في الدين وادعيتم ما ليس فيكم، وليضربوا الروم بالعاشر"[١].

ونتيجة أفعال الخلفاء الفاطميين التي تزايدت حتى ادعي الحاكم بأمر الله الألوهية زاد حقد المصريين عليهم وسخطهم مما ساهم في سرعة تدهور العلاقات بين الخلفاء وبين المصريين.

١ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٣٢٢.

الفصل الرابع

دور العلماء في الحياة الفكرية والعلمية والأدبية والتاريخية

الفصل الرابع

دور العلماء في الحياة الفكرية والعلمية والأدبية والتاريخية

إن من يلقي نظرة على الدولة الاخشيدية التي سبقت الدولة الفاطمية سيجد أن الحركة العلمية والفكرية فيها قد بلغت شأناً عظيماً، ونبغ فيها عدد من المفكرين والكتّاب المتميزين، مثل ابن يونس الأديب والفلكي(١)، والفقيه أبو بكر الحداد(٢)، وأبو عمر الكندي المؤرخ، والأديبين الشاعرين أبو جعفر النحّاس(٣)، وأبو القاسم بن طباطبا الحسيني(٤) والحسن بن زولاق الفقيه والمؤرخ(٥)، ووفد المتنبي على كافور في مصر سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م فألقى قصائداً رنّانة وبثّ في

---

(١) علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن يونس الصدفي المصري، فلكي، من العلماء، كان عارفا بالأدب، وله شعر كثير، يرمى بالغفلة لقلة اكتراثه، ولرثاثة ثيابه، اختص بصحبة الحاكم الفاطمي، وتوفي بالقاهرة (ت٣٩٩هـ/١٠٠٩م) له " الزيج الحاكمي " ويعرف بزيج ابن يونس، في أربعة مجلدات، صحح به أغلاط من سبقه من مصنفي الأزياج، وكان تعويل أهل مصر عليه، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢٩.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني، من فقهاء الشافعية من أهل مصر، ولي فيها القضاء والتدريس، وكان قوالا بالحق، ماضي الأحكام، فصيحا، متعبدا، له كتاب " الفروع " في فقه الشافعية، شركه كثيرون، و" الباهر " في الفقه، مئة جزء و" أدب القاضي " أربعون جزءا و" الفرائض " نحو مئة جزء، مات بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص١٩٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٠.

(٣) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري (ت٣٣٨هـ/٩٥٠م)، أبو جعفر النحاس، مفسر، أديب، مولده ووفاته بمصر، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري، زار العراق واجتمع بعلمائه، وصنف (تفسير القرآن) و(إعراب القرآن) و(تفسير أبيات سيبويه) و(ناسخ القرآن ومنسوخه) و(معاني القرآن) ، و(شرح المعلقات السبع). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٩٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٠١.

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم ابن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل الحسني الرسي الطالبي، نقيب الطالبيين بمصر، وأحد الشعراء المترقين في الزهد والغزل، مولده ووفاته في مصر (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٢٩. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م) يتيمة الدهر، تحقيق مفيد محمد قمحية، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٩٧.

(٥) الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولد سليمان ابن زولاق، الليثي بالولاء، مؤرخ مصري، زار دمشق سنة ٣٣٠ هـ وولي المظالم في أيام الفاطميين، بمصر، وكان يظهر التشيع لهم (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، من كتبه (خطط مصر) و(أخبار قضاة مصر) جعله ذيلا لكتاب الكندي، و(رسالة الموازنة بين مصر

حلقات الأدب روحاً جديدة، ولمّا قامت الدولة الفاطمية في مصر شغلت وقتاً من الزمن بتوطيد ملكها الفتي، ويبدو أنها لم تولِ الحركة العقلية كبير عناية، إلا أن الحركة العقلية لم تلبث أن لقيت ملاذها في قيام الجامعة الفاطمية الكبرى، وأعني هنا الجامع الأزهر الذي بني ليكون مسجد الدولة الجديدة ومنبرها الرسمي.

الجامع الأزهر وهذا الجامع أوّل مسجد أسس بالقاهرة، والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقليّ، مولى الخليفة المعز لدين الله لما اختط القاهرة، وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م وكمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان ٣٦١هـ/٩٧٣م[١].

ثم أنشئت فيه منذ عهد العزيز بالله تلك الحلقات الدراسية التي تحوّلت لاحقاً لجامعة خاصة، وكانت الدولة الفاطمية تُعنى منذ نشأتها بنوع معيّن من الدراسات وهي الدراسات المذهبية، وفي سبيل بثّها وإذاعتها نظّمت مجالس الحكمة في القصر وفي الجامع الأزهر، وأنشئت جامعة دار الحكمة الشهيرة في عهد الحاكم بأمر الله.

دار العلم:

يقول المقريزي حين يتحدّث عن مدارس مصر: (والمدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سني الهجرة، وأوّل من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور[٢]، فبنيت بها بالمدرسة البيهقية، وبنى بها أيضا الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة، وبنى بها أيضا المدرسة السعيدية، وبنى بها أيضا مدرسة رابعة، وأشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد، لأنّها أوّل مدرسة قرّر بها للفقهاء معاليم، وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك أبي عليّ الحسن بن عليّ بن إسحاق بن العباس الطوسيّ[٣]، وزير ملك شاه بن ألب أرسلان بن

وبغداد في العلم والعلماء والخيرات) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٩١. الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٨٧.

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٥٢.

(٢) نيسابور والعجم يسمونها نشاوور، مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين مرو الشاهجان ثلاثون فرسخا، فتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان، على يد عبد الله بن عامر، وبنى بها جامعاً. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣١-٣٣٢.

(٣) الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، الملقب بقوام الدين، نظام الملك، وزير حازم عالي الهمة، أصله من نواحي طوس، تأدب بآداب العرب، وسمع الحديث الكثير، واشتغل بالأعمال

داود بن ميكال بن سلجوق في مدينة بغداد، وشرع في بنائها في سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وفرغت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة، ودرس فيها الشيخ أبو إسحاق الشيرازيّ الفيروزآبادي، صاحب كتاب التنبيه في الفقه على مذهب الإمام الشافعيّ رضي الله عنه ورحمه، فاقتدى الناس به من حينئذ في بلاد العراق وخراسان وما وراء النهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر. وأمّا مصر فإنها كانت حينئذ بيد الخلفاء الفاطميين، ومذهبهم مخالف لهذه الطريقة، وإنما هم شيعة إسماعيلية) [١].

وبناءً على ما تقدم فإنه لم يكن من الطبيعي أن يتّخذ الفاطميون مؤسسات تشبه المدارس، فيقول ابن عبد الظاهر عند ذكره لدار العلم: (بناها المصريون _ يقصد خلفاء الفاطميين _ لأنهم لم يكونوا يعرفون المدارس) [٢]، فقد كانوا يتزعّمون حركة دينية فلسفية اجتماعية عظمى كان هدفها لا يقل عن تحويل وتجديد الإسلام[٣].

وفيما يلي رواية لصديق الحاكم بأمر الله الحميم، ومؤرخ بلاطه المسبّحي والتي نقلها المقريزي في المواعظ والاعتبار فيقول فيها: (وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة: فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس إليها، ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها مما التمسه، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس فيها القرّاء والمنجمون، وأصحاب النحو واللغة، والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار، وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممرّاتها الستور، وأقيم قوّام وخدّام وفرّاشون، وغيرهم وسموا بخدمتها، وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم، والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط من الملوك.

وأباح ذلك كله لسائر الناس، على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب، والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضا، التي لم يسمع بمثلها من إجراء الرزق السنيّ، لمن رسم له بالجلوس فيها، والخدمة لها من فقيه وغيره، وحضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب،

السلطانية، فاتصل بالسلطان ألب أرسلان، فاستوزره، فأحسن التدبير وبقي في خدمته عشر سنين، ومات ألب أرسلان فخلفه ولده ملك شاه، فصار الأمر كله لنظام الملك، وليس للسلطان إلا التخت والصيد، وأقام على هذا عشرين سنة، وكان من حسنات الدهر.

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص١٩٩.

(٢) ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م) الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد السيد، بيروت، ١٩٩٦م، ص٤٥.

(٣) السيد، الدولة الفاطمية، ص٥٨٤.

ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر، والأقلام، والورق والمحابر، وهي الدار المعروفة بمختار الصقلبيّ) [1]، ومختار الصقلي المشار إليه في هذا النص ينتمي إلى تلك الكتائب في الجيش الفاطمي التي تكونت من الصقالبة من أصل أوروبي، وأطلق عليهم صقالبة بدون تمييز، وكان نقيباً في قلعة الخليفة في ظل سلف الحاكم الخليفة العزيز.

أما أنواع التي تم تعليمها في دار العلم فبالإمكان استنباطها بوضوح من نص المسبحي المقتبس أعلاه وهو المصدر الوحيد المعاصر لتلك الفترة حول هذا الموضوع، ومن بين أهل العلم الوارد ذكرهم والمرتبطين بذلك المعهد، القرّاء (قرّاء القرآن)، والفقهاء وخبراء الحديث (المحدثون)، واللغويون والنحاة، والأطباء، وأهل المنطق، والرياضيون والفلكيون.

ثم يتابع المسبّحي متحدّثاً عن سنتي٤٠٣-٤٠٤هـ/ ١٠١٢-١٠١٣م فيقول: (أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم: عبد الغنيّ بن سعيد، وجماعة من الأطباء إلى حضرة الحاكم بأمر الله، وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه، ثم خلع على الجميع ووصلهم....) [2].

أما أبرز أديب حاول الخليفة الحاكم جذبه إلى دار العلم فقد كان الشاعر الضرير أبو العلاء المعري[3]، ففي رسالة إلى أمير حلب دعا الحاكم الشاعر المعري، ولكن الشاعر اعتذر عن عدم الحضور[4]، وكان المحاضرون يُكافؤون بداية بمرتبات (أرزاق) كان تدفع من بيت المال، وهي الطريقة التي سبق اتّباعها في دفع أرزاق الفقهاء الذين كانوا يعملون في الجامع الأزهر في ظل الخليفة العزيز ووزيره ابن كلس[5]، وبعد ذلك بخمس سنوات أي في سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م أقدم

---

(١) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٩-٣٨٠.

(٣) أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف، ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ فأقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت علم كبير في بلده، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعرا يرثونه، أما شعره وهو ديوان حكمته وفلسفته، فثلاثة أقسام: لزوم ما لا يلزم ويعرف باللزوميات، وسقط الزند وضوء السقط (ت٤٩٤هـ/١٠٥٧م). ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١١٣-١١٦.

(٤) ابن عساكر، أحمد بن محمد بن هبة الله (ت٦١٠هـ/١٢١٣م) **تاريخ دمشق**، ط١، ج١٣، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ص١١٩.

(٥) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٥٢.

الحاكم على وضع المعهد الذي أسسه على قاعدة اقتصادية جديدة كلياً وذلك عن طريق ضمه إلى وقف كبير كان قد أوقفه لمساجد القاهرة الرئيسة الثلاث (الأزهر، وراشدة[١]، والمقس[٢]).

فقد تبرع الخليفة الحاكم من ملكه الخاص بعدة إقطاعات وعقارات في الفسطاط لتأمين نفقات كل من الجامع الأزهر وجامع راشدة ودار العلم، أما الجامع في المقس فسوف يتلقى موارد منفصلة، تمثلت في الأموال غير المنقولة بدار ضرب النقود القديمة، وقاعة سوق الأنسجة الصوفية الثمينة، وبناء آخر في سوق المدينة القديمة.

وكانت حجة الوقف تتضمن قبل كل شيء صيانة الأبنية بحيث يتم ضمان استمرارية الوقف، وسيتم تقسيم الفائض بعدئذ إلى ستين جزءاً متساوياً، تأخذ منها دار العلم عشر وثمن العشر، وهي في مجموعها ٢٥٧ ديناراً ذهبياً سنوياً، وقد أوردها المقريزي في المواعظ وهذا نصها: (... ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربيّ: مائتان وسبعة وخمسون ديناراً، من ذلك الثمن الحصر العبدانيّ، وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير، ومن ذلك لورق الكاتب يعني الناسخ تسعون ديناراً، ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون ديناراً، ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر ديناراً، ومن ذلك للفرّاش خمسة عشر ديناراً، ومن ذلك للورق والحبر، والأقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر ديناراً، ومن ذلك لمرمّة الستارة: دينار واحد، ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها: اثنا عشر ديناراً، ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير، ومن ذلك لثمن طنافس[٣] في الشتاء أربعة دنانير)[٤].

وبناءً على ما تقدم فإن هذه النهضة العلمية المتمثلة بالعناية بالمنشآت العلمية قد أنتج لنا مجموعة مميزة من العلماء وفي مقدمتهم بنو النعمان وهم أسرة مغربية نابهة قدمت إلى مصر في

---

(١) هذا الجامع عرف بجامع راشدة لأنه في خطة راشدة، وهي متاخمة للخطة التي قبلها إلى الدير المعروف كان بأبي تكموس، ثم هدم وهو الجامع الكبير الذي براشدة، وقد دثرت هذه الخطة، ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة، أقيمت به الجمعة، لأول مرة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٦٦.

(٢) جامع المقس أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس، لأنّ المقس كان خطة كبيرة، وهي بلد قديم من قبل الفتح. المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٦٨.

(٣) مفردها طنفسة وهي بساط له خمل رقيق وقيل هو ما يجعل تحت الرحل على كتفي البعير والجمع طنافس. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي **(المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)** ط١، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٣٧٤.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٨٠.

ركب المعز لدين الله، وتعاقب بنوها في قضاء مصر زهاء نصف قرن، وكان عميدها العلّامة أبو حنيفة النعمان محمد المعروف بابن حيون (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) قاضي المعز لدين الله وعمدة فقهاء الشيعة في عصره، وهو مؤلف كتاب دعائم الإسلام وكتاب الاقتصار مثنى الأحكام الامامية وغيرها من الكتب القيمة[١]، ثم يأتي من بعد هؤلاء ولده القاضي أبو الحسن علي بن النعمان (ت٣٧٤هـ/٩٨٥م)، وهو أول من درّس في الجامع الأزهر، فعقد أول حلقاته سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م وقرأ فيها مختصر أبيه في فقه آل البيت، ويضاف إلى تضلعه بالعلوم الدينية أنه كان أديباً وشاعراً[٢]، ثم ولده الحسين بن النعمان الذي تولى القضاء في عهد الحاكم بأمر الله ثم قتله الأخير سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٤م)، ثم أخوه القاضي عبد العزيز بن النعمان الذي قتله الحاكم سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م) [٣]، ولا شك أن هذه الأسرة العالمة قد كان لها دور بارز في الحركة العلمية والفكرية في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

وهذا الحسن بن زولاق (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) المصري عميد الحركة الأدبية في عصر بني الإخشيد والدولة الفاطمية، إذ تزعّم الحركة الأدبية في عهد المعز والعزيز، وأولاه المعز عطفه ورعايته، وألّف كتاباً في سيرة المعز لدين الله، ولكنه لم يصل إلينا بل نقلت إلينا منه شذور كثيرة على أيدي المؤرخين المتأخرين، وهي نصوص بالغة الأهمية في وصف الدولة الفاطمية حين كانت في بداية عهدها[٤].

وكذلك محمد بن القاسم بن عاصم شاعر الحاكم وجليسه، وكان من أشهر شعراء وأبو الحسن علي بن محمد الشابشتي (ت٣٩٠هـ/١٠٠٠م) [٦]، والعلّامة الرياضي والفلكي ابن يونس (ت٣٩٩هـ/١٠٠٩م) صاحب الزيج الشهير الذي ألّفه خصيصاً للحاكم بأمر الله، وهو أعظم

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٤١٥-٤١٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٤١٥-٤١٦. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق إبراهيم أبياري ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٨١-٢٨٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) **حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة**، ج١، دار الفكر العربي ،القاهرة، ١٩٩٨م، ص٥٦١.

(٣) ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص٧٣.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص١٣٦. المقريزي، اتعاظ الحنفاء في أخبار الفاطميين الخلفاء، ج١، ص١٣٤.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفاء في أخبار الفاطميين الخلفاء، ج١، ص٥٨.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣١٩. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٣٧. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٢٥.

إنجاز علمي لمعهد الحاكم تمثّل في خارطة ملكية (زيج) وبيانات مقارنة حول الكواكب والنجوم، وهو ما سمي بالزيج الحاكمي، ويبدو أن هذا الزيج قد حلّ محل الأزيج القديمة الذي وضعه فلكيو الخليفة العباسي المأمون بمساعدة مرصدي بغداد ودمشق(١)، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن علماء الفلك في عهد الحاكم لم يتوفر لهم أي مرصد فلكي، وذلك لأن المرصد الذي بدأ بإنشائه قاضي القضاة مالك بن سعيد سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م لم يكن قد اكتمل بعد.

أما محمد بن الحسن بن الهيثم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) والذي كان طبيباً وفلكياً ورياضياً وفيلسوفاً في آن معاً فقد كان الموهبة الأكمل بين هؤلاء العلماء الذين عملوا في ظل الحاكم، وكان لعمله الرائد في مجال البصريات أثر بعيد المدى في الفكر الأوروبي في العصر الوسيط ، وهم الذين صاروا يعرفونه باسم (ALhazen)، وكذلك فقد كان لدراساته أهمية كبرى بالنسبة في مجال الأبحاث المتعلقة في علم النجوم، بلغ خبره الحاكم الفاطمي ونقل إليه قوله: (لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في حالتي زيادته ونقصه)، فدعاه الحاكم إليه، وخرج للقائه، وبالغ في إكرامه، ثم طالبه بما وعد من أمر النيل، فذهب حتى بلغ الموضع المعروف بالجنادل (قبلي مدينة أسوان) فعاين ماء النيل واختبره من جانبيه، وضعف عن الاتيان بشيء، فاعتذر بما لم يقنع الحاكم، فولاه بعض الدواوين فتولاها خائفا، ثم تظاهر بالجنون، فضبط الحاكم ما عنده من مال ومتاع وأقام له من يخدمه. وقيد وترك في منزله، فلم يزل إلى أن مات الحاكم، فأظهر العقل، وخرج من داره، فاستوطن قبة على باب الجامع الأزهر. وأعيد إليه ماله، فانقطع للتصنيف والإفادة إلى أن توفي. وكتبه كثيرة تزيد على سبعين في: المناظر وكيفية الإظلال وتهذيب المجسطي والشكوك على بطليموس ومساحة المجسم المتكافئ والأشكال الهلالية وتربيع الدائرة(٢).

وهذا المسبحي الذي يعد أعظم شخصية في الحركة الفكرية في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الحراني (ت٤٢٠هـ/١٠٣٠م) وكان من أقطاب الأمراء ورجال الدولة الفاطمية، وتولى بعض المناصب الوزارية والإدارية الهامة في عصر الخليفة الحاكم وقرّبه الحاكم إليه ونال حظوة كبيرة، وكان من جلسائه وخاصته، وأخذ المسبحي بقسط وافر من مختلف علوم عصره، وشغف بتدوين

(١) ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد (ت٣٤٧هـ/٩٥٨م) تاريخ ابن يونس المصري، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣٢٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢٩. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، ط١، ج١٧، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٠٩. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٩٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٥٥٠-٥٥٩. الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٨٣.

التاريخ وألف فيه عدة كتب ومنها تاريخه الكبير المسمى (أخبار مصر)، وهو تاريخ مصر ومن حكمها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء، وما بها من العجائب والآثار، وذكر نيلها وخواصّها ومجتمعاتها حتى أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهذا الكتاب الذي يسلط الضوء على تاريخ الدولة الفاطمية في عصرها الأول لم يصل، وكل ما وصل منه هو شذرات نقلها المقريزي وغيره من المؤرخين المتأخرين(١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي قد ضعفت الحركة العلمية، وكانت هذه الفترة غاصّة بالمحن والأحداث والفتن الداخلية والخارجية، فلم تلق الحركة العلمية كثيراً من الرعاية والتأييد، إلا أنها عادت في القرن السادس فانتعشت واستمرت على قوتها حتى نهاية الدولة الفاطمية.

وممن برز من العلماء في هذه الفترة القضاعي الفقيه والمؤرخ والمحدث وهو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م) كان كاتبا للوزير علي بن أحمد الجرجرائي، وأرسله الخليفة المستنر في سفارة إلى الروم، لمقابلة (الامبراطورة ثيودورا) سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) ليحاول عقد الصلح معها، وتولى القضاء بمصر نيابة، وتوفي فيها(٢).

من كتبه (تفسير القرآن) و(الشهاب في المواعظ والآداب) و(مناقب الشافعي وأخباره) و(الإنباء عن الأنبياء) و(تواريخ الخلفاء) و(خطط مصر) و(درة الواعظين وذخر العابدين) و(عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف) و(نزهة الألباب) في التاريخ، و(دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار)، و(دستور معالم الحكم) من كلام الإمام علي بن أبي طالب، و(مائتا كلمة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو كتابه (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية) (٣).

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٧٧-٣٨٠. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٥٨. الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٦٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢١٢-٢١٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٢٦. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى ط٢، ج٤، تحقيق محمود الطناجي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، الرياض، ١٩٩٢م، ص١٥٠. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٩٧. السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة، ج١، ص٤٠٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢١٢-٢١٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٢٦. الزركلي، الأعلام، ج٦، ص١٤٦-١٤٧.

وأبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م) من أهل الحوف بمصر، من العلماء باللغة والتفسير، واشتغل حيناً بالتدريس في القاهرة، من كتبه " البرهان في تفسير القرآن، و" الموضح " في النحو، و"مختصر كتاب العين[١].

ومنهم طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري (ت٤٦٩هـ/١٠٧٧م) المعروف بابن بابشاذ النحوي اللغوي، أحد الأئمة في هذا الشأن والاعلام في علوم العربية وفصاحة اللسان، ورد العراق تاجراً في اللؤلؤ وأخذ عن علمائها ثم رجع إلى مصر، وولي ديوان الانشاء بالقاهرة يتأمل ما يصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ، ورزق في كل شهر على ذلك خمسين دينارا، تزهد في آخر عمره فاستعفى من ذلك ولزم منارة الجامع- جامع عمرو بن العاص- بالقاهرة[٢].

ولا بد من ذكر العالم أبو الحسن أحمد بن علي بن إبراهيم ابن الزبير الرشيد الغساني (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م) ذلك العالم ذو الطموح الكبير والذي رقى طموحه لحد الخلافة، فقد كان أديباً متفقهاً عارفاً بالهندسة والطب والموسيقى والنجوم، مولده بأسوان، قدم القاهرة بعد مقتل الخليفة الظافر وجلوس الخليفة الفائز، فتقدم عند أمراء مصر ووزرائها وأنفذه الحافظ إلى اليمن داعيا له سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) فلما بلغها قُلد قضاءها وأحكامها ولقب قاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمن، وسمت نفسه إلى الخلافة فسعى إليها وأجابه قوم فسلموا عليه بها، وضربت باسمه نقود، فوجه إليه الملك الصالح بن رزيك من قبض عليه، وجيء به مكبلاً إلى قوص، ثم ورد الأمر بإطلاقه فعاش آمناً وألف كتبه، حتى ولي العاضد الخلافة وحاول شيركوه اقتحام مصر، فمال الرشيد إلى (شيركوه) وكاتبه، فاتصل ذلك بشاور (وزير العاضد) فطلبه، فاختفى بالإسكندرية، واتفق إلتجاء السلطان صلاح الدين إلى الاسكندرية ومحاصرته فيها فخرج الرشيد راكبا متقلداً سيفا وقاتل بين يديه ولم يزل معه مدة مقامه في الاسكندرية إلى أن خرج منها، وشاور يشتد في طلبه حتى ظفر به، فأمر بإشهاره على جمل وعلى رأسه طرطور ووراءه جلواز ينال منه، فطيف

---

(١) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٢، ص٢١٩-٢٢٠. السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص١٤٠. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٥٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥١٥-٥١٦. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم الأدباء، ط١، ج٤، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٤٥٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٥٠٩. القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٢، ص٩٦. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٢٤-٢٢٥.

به على هذه الحال وصلب شنقا على الأثر ودفن في الإسكندرية ثم نقل إلى القرافة، من كتبه (جنان الجنان وروضة الأذهان) و(أمنية الألمعي ومنية المدعي) و(المقامات) [١].

ومن العلماء البارزين الحافظ أبو طاهر السلفي وهو أحمد بن محمد بن سلفة[٢] الأصبهاني (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م) وهو حافظ مكثر، من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالي كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الخليفة الظافر) مدرسة في الإسكندرية، سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م فأقام إلى أن توفي فيها، ومن مؤلفاته (معجم مشيخة أصبهان) و(معجم شيوخ بغداد) و(معجم السفر) و(الفضائل الباهرة في مصر والقاهرة) [٣].

وحين ننتقل للأدب والشعر نجد طائفة كبيرة من الأدباء أغنوا الساحة الأدبية والفكرية بمؤلفاتهم وأهمهم ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي (ت٥٢٩هـ/١١٣٤م) كان من الشعراء المجيدين وله ديوان شعر أكثره جيد، ومدح جماعة من المصريين، وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي وغيره من الأعيان[٤].

ومحمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، المعروف بابن قادوس من أهم الشعراء، كان كاتب الإنشاء بمصر، ونعته (ابن ميسر) بالقاضي المفضل كافي الكفاة. وكان القاضي الفاضل يلقبه بذي البلاغتين (الشعر والنثر) [٥].

والصالح طلائع بن رزيك وزير العاضد كان شاعراً مجيداً حماسي النزعة، وفقيهاً بارعاً في علوم الشيعة، وصنّف كتاباً في إمامة علي وتوفي قتيلاً سنة (٥٥٦هـ/١١٦١م) [٦].

وعبد العزيز بن الحسين بن الحباب المعروف بالجليس لأنه كان من جلساء الخليفة العاضد (ت٥٦١هـ/١١٦٦م) [٧].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٦٠-١٦١. الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٣٩٩-٤٠٠. ص٩٦. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص١٤٤. الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٧٣.

(٢) (بكسر السين وفتح اللام).

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٠٥. الزركلي، الأعلام، ج١، ص٢١٥-٢١٦.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٤٠. الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٤٦٢. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٣٦.

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة، ج١، ص٥٦٣. الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٦٦.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٢٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٥٦. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٨٨. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٢٨.

(٧) الكتبي، محمد بن شاكر (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) **فوات الوفيات**، ط١، ج٢، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م، ص٣٣٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص١٩٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٨٧-٢٨٨. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٦.

ويوسف بن محمد بن الحسين، المعروف بابن الخلال (ت٥٦٦هـ/١١٧١م) صاحب ديوان الإنشاء بمصر، وأحد كبار الكتاب المترسلين، وله شعر حسن رقيق، اشتغل عليه القاضي الفاضل في الإنشاء، وتخرج به، ولم يزل في ديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة، وعمي، فانقطع في بيته(١).

ونصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي، المعروف بابن قلاقس الإسكندري (ت٥٦٧هـ/١١٧٢م) شاعر، من كبار الكتاب المترسلين، كان في سيرته غموض، وهو تلميذ العالم السلفي المذكور آنفاً، وصاحب الديوان المشهور باسمه(٢).

ومن الكتّاب والمؤرخين الذين ظهروا في أواخر الدولة الفاطمية ابن المأمون البطائحي ولد المأمون وزير الخليفة الآمر بأحكام الله، وقد ألف تاريخاً استعرض فيه كثيراً من نظم الدولة الفاطمية ورسومها في آخر عهد المستنصر وعهد الآمر، ومنه ينق المقريزي في مواضع كثيرة(٣)، وابن القيسراني أبو محمد بن عبد السلام المعروف بابن الطوير المصري صاحب كتاب كتاب (نزهة المقلتين في أخبار الدولتين) وهو مؤلف لم يصل، ولكن المقريزي يدلل على أهميته وطرافته بما يقتبس منه في أخبار المواكب والحفلات الفاطمية(٤)، وابن بركات النحوي (ت٥٢٠هـ/١١٢٥م) تلميذ القضاعي وكان من أقطاب اللغة والأدب(٥)، والشريف الجواني (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م) وقد ألف كتاباً في الخطط وقام المقريزي بالنقل عنه(٦).

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢١٩-٢٢٤. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) **نكث الهميان في نكت العميان**، ط١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٣٠١. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٣٥. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٤٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٨٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٤٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٧، ص٧-٢٣. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٤-٢٦.

(٣) المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٢٤.

(٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٥٠-٢٥٢-٢٥٥-٢٥٩-٢٧٠-٢٧٧-٢٩١-٢٩٨-٣٤٥-٣٤٧-٣٥١-٣٧٣-٣٨٤-٣٨٨-٣٩٠-٣٩٤-٤٢٥-٤٣٤-٤٣٨-ج٤، ص٦٤-٧٩-٨٧.

(٥) شمس الدين بن الغزي، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن(ت١١٦٧هـ/١٧٤٥م) **ديوان الإسلام**، ط١، ج١، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٦) الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٣١.

ويذكر المختصون أن الدولة الفاطمية في أواخر عهدها قد حظيت بثلة من العلماء تميزت بالإبداع في النثر، وكان لهم أسلوب رائع، وقد تعاقب في ديوان الإنشاء عدة من أئمة البيان، الذين جعلوا من رسائلهم الخلافية والديوانية نماذج من الفصاحة الباهرة، وكان من هؤلاء الوزير أبو القاسم علي بن منجب الشهير بابن الصيرفي (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) كان أبوه صيرفياً، واشتهر بالكتابة فمهر فيها، وقد اشتهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر والخط، فإنه كتب خطا مليحا وسلك فيه طريقة غريبة، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المصريين في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره، وله الكتب التالية (الإشارة إلى من نال الوزارة) و(قانون ديوان الرسائل) و(عمدة المحادثة) و(عقائل الفضائل) [١].

وممن برع في النثر أيضاً القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي (ت٥٩٦هـ/١٢٠٠م) وكان من أئمة النثر والبلاغة، وتولى في شبابه ديوان الإنشاء للعاضد، وبرع في الكتابة براعةً فائقة، وله طائفة كبيرة من الرسائل تعتبر بحق نماذج رائعة للبلاغة الرائع، ولما سقطت الدولة الفاطمية وزر القاضي الفاضل لصلاح الدين، ونال لديه حظوة كبيرة، وكتب القاضي الفاضل تاريخ عصره في حوليات تعرف بالمتجددات[٢]، وقد أورد لنا القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا طائفة كبيرة من السجلات والمراسيم والرسائل القوية من إنشاء هؤلاء الكتّاب الأعلام، تشهد أساليبها الرفيعة وبيانها الساحر ما بلغه النثر من القوة والروعة أواخر الدولة الفاطمية.

هذا وقد وفد على مصر زمن الدولة الفاطمية[٣].طائفة كبيرة من أعلام التفكير والأدب خلال العصر الفاطمي وكان لهم أثر قوي في سير الحركة العقلية، من أبرز العلماء الذين وفدوا من المغرب العربي والأندلس إلى الدولة الفاطمية في مصر:

أبو القاسم مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، فيلسوف ورياضي وفلكي، كان إمام الرياضيين بالأندلس، وأوسعهم إحاطة بعلم الأفلاك وحركات النجوم. مولده ووفاته بمجريط (مدريد) من كتبه (ثمار العدد) في الحساب، و(اختصار تعديل الكواكب من

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص١٩٧١. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٤.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٥٨-١٦٢. الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٥٦٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٤٢-٤٤٦. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٠١-٢٢٢. قاضي شهبه، تقي الدين بن احمد (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م) تاريخ ابن قاضي شهبه، ط١، ج٢، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٠-٣١. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٣٤٦.

(٣) القلقشندي، احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) **صبح الأعشى في صناعة الانشاء**، ط١، ج١٠، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ص٣١١ وما بعدها.

زيج البتاني) و(رتبة الحكيم) و(غاية الحكيم) و(كتاب الأحجار) و(روضة الحدائق)، وعرف عنه أنه تأثر كثيراً بالفاطميين، وذُكر أنه كان على اتصال سري بخلفائهم في المغرب، ويدلل على ذلك إقدامه على نشر كتاب رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا في بلاد الأندلس[١].

أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، ويقال له ابن أبي رندقة، أديب، من فقهاء المالكية، الحفاظ، من أهل طرطوشة [٢] تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة ٤٧٦ه/ فحج وزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان، وأقام مدة في الشام، وسكن الإسكندرية، فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) وكان زاهدا لم يتشبث من الدنيا بشيء، من كتبه (سراج الملوك) و(التعليقة) في الخلافيات، و(بر الوالدين) و(الفتن) و(الحوادث والبدع) و(مختصر تفسير الثعلبي) و(المجالس) [٣].

وأبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المشهور بأبي الرقعمق وهو أحد المداح المجيدين، والشعراء المحسنين، أقام بمصر زماناً طويلاً، ومعظم شعره في ملوكها ورؤسائها، ومدح بها المعز أبا تميم معد بن المنصور بن القائم بن المهدي عبد الله، وولده العزيز، والحاكم بن العزيز، والقائد جوهراً، والوزير أبا الفرج بن كلس، وغيرهم من أعيانها[٤].

ومحمد بن عبد الواحد القصار، المعروف بصريع الدلاء قتيل الغواشي، ذي الرقاعتين، شاعر، بصري المولد والمنشأ، استوطن بغداد، وقدم مصر، ومدح الخليفة الظاهر، وهو صاحب القصيدة الهزلية المشهورة التي يعارض فيها مقصورة ابن دريد، وتوفي في مصر سنة (٤١٢هـ/١٠٢١م) [٥].

وأبو اسحق ابراهيم بن القاسم (ت٤١٨هـ/١٠٢٧م) المعروف بالرقيق شاعر المغرب، وفد على مصر أيام الخليفة الحاكم غير مرة موفداً من البلاط المغربي إلى البلاط المصري ليعمل على

---

(١) الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٢٤.

(٢) طرطوشة مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها تحلها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٦٢. الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠.

(٤) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م) **يتيمة الدهر**، ط١، ج١، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٣٧٩ وما بعدها. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٣١-١٣٢.

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٥، ص٢٢.

توثيق الروابط بينهما، ولقي من الحاكم وأخته ست الملك وافر الإكرام والرعاية وأشاد بمصر ومحاسنها في عدة قصائد رائعة[١].

وعبد العزيز بن أحمد بن مغلس القيسي، كان عالماً من علماء اللغة العربية ومن المشار إليه فيها، رحل إلى مصر فقرأ على أبي يعقوب بن يوسف بن خرزاد، استوطن مصر وتوفي بها سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م[٢]، وكذلك علي بن جعفر بن علي السعدي، المعروف بابن القطاع اللغوي النحوي الذي نبغ في علوم الأدب وعلوم اللغة، رحل إلى مصر في حدود سنة ٥٠٠ه/١١٠٦م ولقيه المصريون بحفاوة وبالغوا في إكرامه، وخصّه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بالرعاية، وجعله معلماً لولده في علوم العربية وفنون الأدب[٣]، وأقام حياته بالتأليف ومن أبرز كتبه الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة " أي صقلية، و" العروض البارع" و"الشافي في القوافي و" أبيات المعاياة" و" فرائد الشذور وقلائد النحور توفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م بالقاهرة[٤].

ومنهم علي بن عبد الجبار بن سلامة بن عيذون الهذلي اللغوي من تونس فقد ولد بها سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م وكان إماماً في اللغة، وتوفي بالإسكندرية سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م[٥].

وقد بلغ مبلغاً عظيماً من الرقي وهذا بفضل تشجيع الخلفاء الفاطميين للشعراء وإغداقهم الهبات والعطايا، وكانوا يكرمونهم بالأرزاق، هذا فضلاً عن أن الخلفاء الفاطميين كانوا يتقنون الأدب، فقد كان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٧٤هـ/٩٨٤م) من الشعراء البارزين في عصره، وقد أفاض الرواة في ذكر فضله ومهاراته الشعرية، وقد وُصف بأنه من أميز أبناء المعز[٦]، وكان الخليفة العزيز بالله يقرض الشعر، وقد روي عنه بعض الأشعار الجيدة في رثاء

(١) الحموي، معجم الأدباء، ج١، ص٩٧. الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٤١-٤٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٦١.

(٢) ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت٥٧٨هـ/١١٨٣م) **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، ط٢، ج٢، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥ ص٣٦٩-٣٧٠.

(٣) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) **معجم الأدباء**، ط١، ج١٢، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٤) القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، ط١، ج٢، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٢٣٦.

(٥) القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٢، ص٢٩٢-٢٩٣.

(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٩٧. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج١، ص٦٨٦-٦٩٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٣٣.

أحد أبنائه وقد توفي في العيد[١]، كل ذلك جعل من مصر في الفترة الفاطمية مقصداً ومحجاً للشعراء من كل حدب وصوب، فهذا الشاعر محمد بن هانئ الأندلسي الذي طالما غالى في مديح الخليفة المعز[٢]، وكان ذو أهمية في البلاط الفاطمي فيُروى أنه حين توفي قال عنه المعز: (هذا الرجل كنّا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدّر لنا ذلك، وعلى ما يبدو أن ابن هانئ أصبح شيعياً متحمساً لهذا المذهب طمعاً في كرم الفاطميين لا حباً في عقائدهم.

ومن الشعراء المغاربة الذين رحلوا إلى مصر علي بن النعمان القيرواني، قال عنه السيوطي نقلاً عن ابن خلدون (كان شيعياً غالياً، شاعراً مجوداً توفي سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م) [٣] وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكريا القلعي من قلعة بني حماد بالمغرب، ذكره ابن الزبير في مجموعة وقال (كان جيد الشعر وارى زناد الفكر، رحل إلى الإسكندرية ومصر وأقام بها زماناً ثم عاد إلى المغرب) [٤].

وممن وفد على مصر أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت سنة ٤٨٩هـ/١٠٥٩م وكان عالماً في فنون مختلفة، شاعراً فحلاً وأديباً ممتازاً بجانب علومه الفلسفية، ويقول الأصفهاني في خريدة القصر: (كان أوحد زمانه، وأفضل أقرانه، متبحراً في العلوم، وأفضلُ فضائله إنشاء المنثور والمنظوم، وكان قدوة في علم الأوائل، ذا منطق في المنطق بدّ سحبان وائل، وسكن ثغر الإسكندرية)، ومن الشعراء الذين رحلوا أيضاً إلى مصر أبو الحسن علي بن الحسن الطوبي ذكر أنه: (إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلف دفاتر، ومصنف جواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين، سافر الى الشرق، وحل منه في الأفق، وكان في زمان المعز بن باديس)، وأيضاً أبو عبد الله محمد بن عبد الصمد بن بشير هو من معاصري الحكيم أبي الصلت أمية، وأحد شعراء الأمير علي الصنهاجي وكان يجمع بين رقة المعنى وجودة الصياغة[٥].

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص٤٩٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص١٢١.

(٢) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣) **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٤٠.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) **حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٥٦١.

(٤) الأصفهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق محمد المرزوقي، وزارة الثقافة والفنون، تونس، ١٩٧٣م، ص٤٢٤.

(٥) الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص٧٥، ٢٢و، ٣٥٣.

أما المؤرخون الذين رحلوا من المغرب إلى مصر فهم عدد غير قليل، نذكر من أهمهم مؤرخ الدولة الفاطمية المشهور أبو حنيفة النعمان (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) [١]، الذي وضع كتاب شرح الأخبار، وكتاب افتتاح الدعوة الزاهرة الذي يتحدث فيه عن بداية الدعوة الفاطمية على يد أبي عبد الله الداعي، وقد اقتبس منه المقريزي وغيره من المؤرخين، ويعتبر كتابه المجالس والمسايرات أفضل ما كُتب في وصف حياة خلفاء الفاطميين في الدور المغربي، وهو من أفضل المؤلفات التي تناولت الحياة الاجتماعية الفاطمية في عهد المعز خاصة غير هذا الكتاب، وقد أمدّنا هذا المؤلف بوثائق ذات قيمة كبيرة عن نظام الحكم في عهد المعز، مما يجعلنا نقف على الكثير من الحقائق التي خفيت على غيره ممن تعرض لهذا الموضوع.

ومن المؤرخين المغاربة أبا عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن جنادة العتقي الفرياني الإفريقي الذي توفي في مصر سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م أيام العزيز بالله، وكان خصيصاً به وله عليه رزق واقطاعات[٢]، وقد صنّف العتقي تاريخاً ذكر فيه أخبار بني أمية وبني العباس وشيئاً من محاسنهم وجميل أفعالهم، فاتفق أن اطلع الوزير ابن كلس على شيء منه فأخبر به الخليفة فما كان من الخليفة إلا أن وبّخه على ذلك، وأمره بلزوم داره فلزوها حتى مات سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) وعنوان هذا التاريخ هو (التاريخ الجامع) وقد بلغ به بعض أيام العزيز[٣].

ولا يفوتنا ذكر محمد بن الوراق القيرواني المتوفى سنة ٣٦٣ه/٩٧٣م الذي وضع كتاباً عن مسالك افريقية وممالكها والذي اعتمد عليه البكري في كتابه (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب) والمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم[٤].

وفي مجال الجغرافيا نذكر من هؤلاء الرحالة المغاربة محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالبي (ت٥٦٠هـ/١١٦٠م)[١]، والذي دفعه ولعه بالرحلة والتجوال

---

(١) النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفة بن حيون التميمي، ويقال له القاضي النعمان: من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر، كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ، من أهل القيروان، مولداً ومنشأ، تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية، عاصر المهدي والقائم والمنصور والمعز (منشئ القاهرة) وخدمهم، وقدم مع المعز إلى مصر، وهو كبير قضاته، له "اختلاف أصول المذاهب" يرد فيه على أدلة الاجتهاد وينصر الإسماعيلية، و"دعائم الإسلام"، "تأويل دعائم الإسلام" و"المجالس والمسايرات". ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٦٦.

(٢) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ط١، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٨٧.

(٣) القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص١٨٧.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ص٢٢٥-٢٢٦.

إلى زيارة العديد من بلدان شمال افريقية وآسيا الصغرى، ومما تجدر الإشارة إليه أن الإدريسي رحل إلى مصر والشام ويبدو أن إقامته كانت طويلة، لأننا نراه في أبيات له من الشعر يشتكي رجوعه إلى المغرب خائب الأمل غير ظافر بما كان يرجوه في الشرق من التقدير، ومن المرجح أنه كان ينوي الإقامة على الدوام بأحد أقطار الشرق بالشام وبمصر[٢].

أما العلوم الفلسفية فيقصد بها جميع العلوم التي كانت تشتمل عليها الفلسفة في القرون الوسطى من رياضيات وموسيقى وطب وتنجيم وطبيعيات ومنطق إلى غير ذلك من العلوم التي كان يجيدها فلاسفة تلك العصور، ومعروف أن العقائد الفاطمية تعتمد على العلم وتمييز الإلهيات من الطبيعيات، وخير تعبير عن هذا نجده في رسائل إخوان الصفا فقد ورد في إحداها: (وينبغي لإخواننا أيّدهم الله أن لا يتركوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها) [٣] ، فلا بد أن هذه العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفنونها تزدهر في العصر الفاطمي ويرعاها الفاطميون، بل إن من الخلفاء الفاطميين من أتقن هذه العلوم وبرع فيها ولا سيّما رصد الكواكب، فالمؤرخون يذكرون أن المعز لدين الله والعزيز وكذلك الحاكم بأمر الله كانوا يرصدون النجوم لاستقراء ما وراءها من أحداث، وأن علم الأئمة بهذه العلوم كان وسيلة لادعائهم معرفة الغيب فيصف ابن حماد الحاكم بأمر الله فيقول:(وكان صاحب نجوم ورصد له الزنطجا الحاكمي المعروف،

وذكر الفقيه الشيخ المعمر أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي القلعي أنه رأى بمصر الآلة التي رصد بها مرفوعة على برجين اثنين بنيا لها) [٤].

ويذكر القاضي النعمان أن اهتمام الأئمة الفاطميين بعلم التنجيم لم يكن وسيلة ادّعائهم علم الغيب ويتجلى ذلك في قوله: (ذكر الإمام المعز لدين الله يوماً وأنا بين يديه الأئمة والمنجمين، فقال: من نظر في النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار، وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره... فقد أحسن وأصاب، ومن ادعى بذلك علم غيب الله، والقضاء بما يكون فقد

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٦٣.

(٢) نقولا زيادة، الرحالة العرب، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٥٦-٥٧.

(٣) برنارد لويس، **أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، مراجعة وتقديم خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٥٢-١٥٣.

(٤) الصنهاجي، محمد بن علي بن حماد (ت٦٢٨هـ/١٢٣١م) **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩٥.

أساء وأخطأ...) [1]، ولعل هذا القول ينفي التهمة عن الفاطميين بادّعائهم الغيب، ومن أهم المنجمين المغاربة الذين رحلوا إلى مصر أبو عبد الرحمن محمد العتقي وكان منجم الخليفة المعز لدين الله، ونذكر أيضاً أبا محمد عبد الله بن اسحق التبان (ت٣٧١هـ/٩٨١م) وكان بارعاً في علم النجوم.

ويبدو أن الأمر لم يقتصر على الرحلة إلى مصر والتعلم فيها والتقاء علمائها فحسب، بل منهم من كان مهتماً بالتنقيب عن الآثار القديمة، فهذا ناصر خسرو يذكر في رحلته المعروفة بسفر نامه في حوادث سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م أنه شاهد في مصر رجالاً من المغرب ومصر والشام تجشموا مشاق الرحة، وأنفقوا المال الكثير في تلال مصر ومحاجرها للبحث عن الكنوز والدفائن الفرعونية[2].

ولا بد من القول في الختام أن مصر في العصر الفاطمي والذي استمر لما ينوف على قرنين قد بلغت ذروة حضارتها، وبالرغم من الجهود التي بذلها الفاطميون في سبيل نشر مذهبهم في مصر، فقد ظلت الفسطاط والإسكندرية من أكبر المراكز السنية التي كان يتردد عليها كبار العلماء والفقهاء والمتفقهين من مختلف أقطار العالم الإسلامي القديم، كما يجب أن هذه المكانة العلمية التي نالتها مصر في العصر الفاطمي قد دفعت الكثير من العلماء للإقامة في مصر ومنهم من عاد إلى موطنه حاملاً معه علوم الشرق كي تؤثر بدورها على الحركة والفكرية والأدبية في أوطانهم الأصلية.

---

(١) ابن حيون، النعمان بن محمد بن منصور (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، تونس، ١٩٧٨م، ص٤٣٩.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامه، ص١١٤.

الخاتمة

في النهاية كنت آمل أن أجد مادة أفضل وأكثر غنىً عن العلماء في الفترة الفاطمية، ولكن تبقى مصادرنا التاريخية تتمتع بصفتها المعروفة وهي أنها تعطي الجانب السياسي حيزاً كبيراً في جنباتها بينما تظل حصة متواضعة تغطي أحوال المجتمع والعامة، ولكن مع ذلك نخلص في نهاية هذه الأطروحة إلى مجموع من الأفكار، أهمها مقاومة علماء أهل السنة المد العبيدي بكل الأساليب المتاحة لهم من حجة وتعليم ودعوة وتعددت طرقهم وتصورت في عدة أساليب ومنها صمود العلماء والفقهاء ضد أعمال الفاطميين وتحملهم للأذى والسجن والقتل مما ساهم في تثبيت عوام المسلمين على عقيدة أهل السنة، وقد عمل الفاطميون على إخلاء الساحة من العلماء بالترغيب وضمهم في دعوتهم أو بالترهيب حتى يسقط العامة، كما قاطع العلماء جميع مؤسسات الدولة الفاطمية ؛ فلا يختصمون إلى قضائهم، ولا يصلون وراء أئمتهم، ولا يأتون مهنئين، ولا معزين، ولا يتوارثون معهم، ولا يصلون على موتاهم، ولا يناكحونهم، وقد حصّن علماء أهل السنة أهل مصر بالفتاوى التي أوضحت ضلال الدعوة الاسماعيلية، وقد انتشرت هذه الفتاوى، وعرفها الخاص والعام، فكانت حاجزًا منيعًا بين العوام، وبين التردي في دعوة الفاطميين للمذهب الشيعي.

وإن عدم امتلاكنا لكتب في طبقات العلماء وتراجمهم في العصر الفاطمي مثل كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، تجعل الصورة التي نقدمها عن العلماء غير كاملة كما هو الحال في العصر المملوكي مثلاً، ولكن مع ذلك هناك بعض الإشارات التي أوردناها في ثنايا الرسالة تتحدث عن دورهم، وأخيراً فإن مصر في العصر الفاطمي كانت قد احتضنت في جنباتها ثلةً مميزة في مختلف فروع العلوم النظرية والتطبيقية، وما تزال مؤلفات الكثير منهم ماثلة للعيان حتى أيامنا هذه.

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر:**

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن الأثير، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت٦٣٣هـ/١٢٣٣م) **الكامل في التاريخ**، ط٢، ج٦، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن الصيرفي، علي بن منجب سليمان (٥٤٢هـ/١١٤٧م) **القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠م.

ابن الطوير، المرتضى عبد السلام(٦١٧هـ/١٢٢٠م) **نزهة المقلتين في أخبار الدولتين**، تحقيق أيمن فؤاد، النشرات الإسلامية، شتوتجارت، ١٩٩٢م.

ابن العبري، يوحنا بن هارون بن توما الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) **تاريخ مختصر الدول**، ط٣، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، ج٥، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦م.

ابن الغزي، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن(ت١١٦٧هـ/١٧٤٥م) **ديوان الإسلام**، ط١، ج١، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن المأمون، جمال الدين أبو علي موسى، **أخبار مصر**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، ١٩٨٣م.

ابن النديم، محمد بن اسحق (ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م) **الفهرست**، تحقيق ابراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.

ابن اياس الحنفي، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ /١٥٢٤م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، القاهرة، مطبعة بولاق، (د.ت).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، ط٢، ج٣، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ٢٠٠٥م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) **رفع الإصر عن قضاة مصر**، ط١، تحقيق علي محمد عمر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

ابن حزم، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) **جمهرة أنساب العرب**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

ابن حيون، النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) **الهمة في آداب اتباع الأئمة**، بعناية محمد كامل حسين، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د.ت.

ابن حيون، النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) **دعائم الإسلام**، وذكر الحلال والحرام، ج١، القاهرة، ١٩٥١م.

ابن حيون، النعمان بن محمد بن منصور (ت٣٦٣هـ/٩٧٤م) **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي، تونس، ١٩٧٨م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) **كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ط٢، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) **وفيات الأعيان في أنباء الزمان**، ج٤، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر المصري (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م) **الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة**، تحقيق أيمن فؤاد السيد، بيروت، ١٩٩٦م.

ابن عذارى، محمد بن أحمد المراكشي (ت٩٦٥هـ/١٢٩٥م) **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط٣، ج١، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

ابن عساكر، أحمد بن محمد بن هبة الله (ت٦١٠ هـ/١٢١٣م) **تاريخ دمشق**، ط١، ج١٣، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

ابن قاضي شهبه، تقي الدين بن احمد (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م) **تاريخ ابن قاضي شهبه**، ط١، ج٢، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، **البداية والنهاية**، ط١، ج١١، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت٦٧٧هـ/ ١٣٧٨م)، **تاريخ مصر**، طبعة هنري ماسيه ، القاهرة، ١٩١٩م.

ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد (ت٣٤٧هـ/٩٥٨م) **تاريخ ابن يونس المصري**، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

الأدفوي، جعفر بن ثعلب بن جعفر الشافعي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، **الطالع السعيد في أسماء نجباء الصعيد**، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٦٦م.

الأصفهاني، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) **خريدة القصر وجريدة العصر**، تحقيق محمد المرزوقي، وزارة الثقافة والفنون، تونس، ١٩٧٣م.

الأندلسي، أحمد بن عبد ربه (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م) **العقد الفريد**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) **تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا**، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م.

برنارد لويس، **أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، مراجعة وتقديم خليل أحمد خليل، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م) **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ط١، ج٣، تحقيق مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) **معجم الأدباء**، ط١، ج٥ تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) **معجم البلدان**، ط٢، ج٤/٥، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

الدواداري، أبو بكر عبدالله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/١٤٣٢م) **كنز الدرر وجامع الغرر**، ج٦، تحقيق،صلاح الدين المنجد وسعيد عاشور واولرخ هارمان وهانس روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٧٢م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان**، ط٢ ، ج١٢، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٩٣م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) **سير أعلام النبلاء**، ج١، ط١، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) **طبقات الشافعية الكبرى**، ط٢، ج٤، تحقيق محمود الطناجي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، الرياض، ١٩٩٢م.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) **كتاب الأنساب**، ط١، ج١٠، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى، حيدر أباد، ١٩٦٢م.

السيوطي، الحافظ جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، ط١، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨م.

الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق الباز العريني، ١٩٤٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) **الوافي بالوفيات**، ج١٢، تحقيق احمد الارناؤوط،، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) **نكث الهميان في نكت العميان**، ط١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

الصنهاجي، محمد بن علي بن حماد (ت٦٢٨هـ/١٢٣١م) **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٩٨م.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣) **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

فرحون، إبراهيم بن علي (ت٧٩٩ه/١٣٩٧م) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ط١، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، ط١، ج٢، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م.

القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) **إخبار العلماء بأخيار الحكماء**، ط١، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ط١، ج١٠، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٧م.

الكتبي، محمد بن شاكر (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) **فوات الوفيات**، ط١، ج٢، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤١م) **الكافي في علم الدين**، مكتبة قم، طهران، ١٩٧٥م.

المقريزي، أحمد بن علي عبد القادر أبو العباس الحسيني (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق جمال الدين الشيال، ج٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

المقريزي، أحمد بن علي عبد القادر أو العباس الحسيني (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٧م.

المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

المقريزي، أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤١م) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

المهلبي، الحسن بن أحمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) **المسالك والممالك أو الكتاب العزيزي**، جمع تيسير خلف، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٦م.

ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م)، **سفر نامه**، ط٣، يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م.

النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٣هـ/١٢٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مفيد قمحية وآخرون، ط١، ج٢٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

اليافعي، عبد الله بن اسعد (ت٧٦٨هـ /١٣٦٧م) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، ط١، ج٢، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

- المراجع:

أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ج١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.

أيوب، إبراهيم رزق الله، **التاريخ الفاطمي السياسي**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٧م.

البراوي، راشد، **حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين**، القاهرة (د. ت)، ١٩٤٨م.

حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام: السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج٣، دار النهضة المصرية، ٢٠٠٠م.

حسن، محمد زكي، **كنوز الفاطميين**، دار الأمل للطباعة، القاهرة، ١٩٣٧م.

الحسين، محمد كامل، **أدب مصر الفاطمية**، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م.

سرور، محمد جمال الدين، **السيادة الفاطمية في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م.

سعد، أحمد صادق، **تاريخ مصر الاقتصادي – الاجتماعي في ضوء النمط الآسيوي للإنتاج**، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٩م.

سلام، محمد، زغلول، **الأدب في العصر الفاطمي (الكتابة والكتّاب)**، ج١، ط١، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

السيد، أيمن فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر، تفسير جديد**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م.

الصاوي، أحمد السيد، **مجاعات مصر الفاطمية - أسباب ونتائج -**، بيروت، دار التضامن، بيروت، ١٩٨٨م.

عبد المنعم، ماجد، **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر**، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م.

العش، محمد أبو الفرج، النقود العربية الاسلامية، (أبحاث الندوة الدولية للألفية القاهرة، مصر، ١٩٦٨م.

عنان، عبد الله، **الحاكم بأمر الله والدعوة الفاطمية**، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م.

كاشف، سيدة اسماعيل، **مصر في عهد الإخشيديين**، القاهرة، ١٩٧٠.

كاهن، كلود.، **أخبار الدولة المصرية**، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

الكرملي، انستانس ماري، **النقود العربية وعلم النميات**، القاهرة، ١٩٣٩م.

ماجد، عبد المنعم، **نظم الفاطميون ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

ماجد، عبد المنعم، **ظهور خلافة الفاطميين في مصر**، منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

متز، آدم، **الحضارة الإسلامية**، ترجمة محمد عبد الهادي، ج١، دار النهضة المصرية القاهرة، ١٩٩٥م.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج١، دار الدعوة، اسطنبول، ١٩٨٩.

ياغي، حياة، **القيروان**، المكتبة الإسلامية، دمشق، ١٩٩٠م.

Abstract

Scholars such as judge,imams, teachers,jurists hafiz Quran, Hadeeth narrators and mistics are the educated part of the Islamic societ, they were given titles like "Sheik" as akind of respect to them, Scholars who dedicated themselves to teach religious studies such as Tafseer Hadeeth Fiqh and grammar were called teachers.

All the time of Fatimi state Scholars were given great respect by the Fatimi authority represented by the caliphs, ministers princes and ordinary people.

No one can consider Scholars separated from their society because they were a vital part of its people respected their words and they had a great effect on them more than the government.

Even though Scholarshad a grand reputation during the Fatimi state, they did not become " Shyan , Sunna Scholars remained Sunna and Christian Sunna remained Christians, both of them granted great services to the Fatimi state.